مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الإفتاء الفلسطينية
العدد 134

الإسراء

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَ الْفُرقَانِ

(البقرة:185)

العدد 134 - رمضان وشوال 1438هـ - حزيران وتموز 2017م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية - القدس

العدد 134

رمضان وشوال 1438 هـ - حزيران وتموز 2017م

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:1)

المشرف العام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير

الشيخ ابراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج

يوسف تيسير محمود

هيئة التحرير

د. إسماعيل أمين نواهضة

أ. د. حسن عبد الرحمن السلوادي

د. حمزة ذيب حمودة

د. سعيد سلمان القيق

د. شفيق موسى عياش

المراسلات: مجلة الإسراء

مديرية العلاقات العامة والإعلام، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب: 20517 - القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس: 6262495 - 02 / 2348603 - 02

موقعنا على الإنترنت: www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني: israa@darifta.org

ملحوظة: ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

نفحات من انتصار الحق وزهق الباطل في رمضان — الشيخ محمد أحمد حسين — 4

كلمة العدد

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن — الشيخ إبراهيم خليل عوض الله — 16

ملف العدد

المسجد الأقصى بحلته الرمضانية — أ. عزيز محمود العصا — 29

ثلاثة أحداث عظيمة بمجيء شهر رمضان — أ. معين رفيق — 36

من أسرار الصوم وأخلاق الصائم — أ. كايد جلايطة — 41

في ظلال آيات شهر رمضان المبارك — أ. محمد ذياب أبو صالح — 47

الأمومة في رمضان — أ. إباء أبو طه — 51

من فقه العبادات

الزكاة في الإسلام — د. شفيق عياش — 53

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب — الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية — 58

من فقه الكتاب والسنة

الريح من روح الله	أ. كمال بواطنه	64
الوسائل التعليمية في القرآن والسنة	أ. يوسف عدوي	68
العلم ... والخشية ... والاستقامة	أ. رائد خليل جاد الله	75

قضية ساخنة

أيهما أولى مكافحة التطرف والإرهاب أم معالجة الأسباب المؤدية إلى ذلك؟	د. حمزة ذيب مصطفى	78

علماء من فلسطين

دور علماء بني مفلح الفلسطينيين في النهضة العلمية بدمشق منذ القرن الثامن الهجري	الشيخ عمار بدوي	84

دوحة الشعر

قصيدة ... أذان القدس	أ. زهدي الحنتولي	92
قصيدة ... على أعتاب رمضان	أ. مهند ذويب	94

نشاطات ... ومسابقة

باقة من نشاطات مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية	أ. مصطفى أعرج	96
مسابقة العدد 134	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 132	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

نفحات من انتصار الحق وزهق الباطل في رمضان

الشيخ محمد أحمد حسين/ المشرف العام

في السنة التي فرض الله تعالى فيها صيام شهر رمضان على المسلمين، خاض المسلمون بقيادة الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، أول معركة فاصلة في تاريخ الإسلام، ضد معسكر الكفر والظلم، الذي كان يقوده زعماء الضلال وقتئذ، حيث تحرك المسلمون من معقل دارهم، وقلب دولتهم، التي تشكلت حديثاً في المدينة المنورة، إلى ضرب اقتصاد عدوهم، الذي تسبب في رحيل المهاجرين عن ديارهم وأهلهم وموطنهم باضطهاده لهم، وملاحقته إياهم، ليس لذنب اقترفوه، سوى أنهم اتبعوا دين الإسلام، وأرادوا الخير للعالمين والرحمة والهداية، بموجب تكليف من رب العالمين، خاطب به نبيه، صلى الله عليه وسلم، فقال جل شأنه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(الأنبياء: 107)، وحدد الله جل ذكره غاية إنزال قرآنهم بما يتماشى مع مضمون هذا التكليف، فقال عز وجل في فاتحة سورة الفرقان: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}(الفرقان: 1)، واسم هذه السورة مشترك بين مسمى القرآن، ومسمى الغزوة الأولى الفاصلة، فكلاهما فرقان، فرقا بين الحق والباطل، فالله تعالى وصف القرآن بالفرقان في هذه الآية الكريمة، وفي الآية التي استطردت في وصف شهر رمضان، الذي فرض الله فيه الصيام على المسلمين، وأنزل فيه القرآن على قلب نبيهم، صلى الله عليه وسلم،

فقال جل شأنه: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...} (البقرة: 185)، ومن الشواهد المفيدة هنا أن صيام رمضان لم يمنع الصائمين من القيام بنصرة دينهم، وبذل الوسع والطاقة من مهجهم، وأرواحهم، وأموالهم في سبيل الله، على الرغم من أنهم يخوضون تجربتي القتال والصيام، على هذا النحو المنظم لأول مرة في حياتهم وتاريخهم.

لقاء الفرقان:

وقع لقاء الفرقان في بدر الكبرى في رمضان من السنة الثانية للهجرة، حيث التقى الجيش المسلم الصائم الفتي جيشَ الكفر، في معركة حربية فاصلة، ورغم التفاوت في العدد والعتاد بين الجيشين، لصالح جيش الكفر، فإن النتيجة حسمت لصالح جيش الإيمان، المدجج بالعقيدة، والمساند بجند السماء، وقد تناولت سورة الأنفال جوانب مما جرى في هذه المعركة بالوصف والتعقيب، فأثبتت ذلك في مضامين آيات قرآنية، تتلى تعبداً من المسلمين في صلاتهم وخارجها، وهي جديرة بالتدبر والنظر الحدق، لما ترشد إليه من دروس وتوجيهات ومبادئ وقيم، ينبغي الأخذ بها، والعمل بمقتضاها، وبخاصة حين يواجهون ظروفاً مشابهة، وأحوالاً صعبة، كالتي واجهها أسلافهم من الرعيل الأول، حين قسا عليهم الأقربون والأبعدون، واجتمعت عليهم قوى الشر، تبغي فناءهم، ومحو وجودهم، واقتلاعهم عن البسيطة، فحدث الفرقان، الذي أخبر عنه سبحانه في سورة الأنفال، فقال عز وجل: {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الأنفال: 41).

جند الله تُناصر أولياءه:

من الجوانب الجديرة بالتأمل والإيمان، عند استذكار غزوة الفرقان، تلك المساندة التي كانت من جند الله، والمناصرة لأوليائه المؤمنين بها، ومن أشكال تلك المساندة، حسب حديث رب العزة عنها:

التأييد بالملائكة:

تحدث القرآن الكريم عن تأييد الله المؤمنين بالملائكة يوم بدر، فقال جل شأنه: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ}(الأنفال:9)

جاء في التفسير أن {إذ} في قوله تعالى:{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ} بدل من {إذ يعدكم} وقيل: يتعلق بقوله: {ليحق الحق} أو بفعل مضمر، واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر. و{ممدكم}؛ أي مكثركم، {مردفين} من قولك ردفه إذا تبعه، وأردفته إياه إذا أتبعته إياه، والمعنى يتبع بعضهم بعضاً، فالملائكة المنزلين يتبع بعضهم بعضاً، فمنهم تابعون ومتبوعون.[1]

وقال عز وجل: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}(الأنفال:12)[2]

قوله تعالى:{فثبتوا الذين آمنوا}: يحتمل أن يكون التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين، أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب، قالوها إذا تصوروا بصور بني آدم، أو بإلقاء الأمن في نفوس المؤمنين. وقوله تعالى: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ}: يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر، تكميلاً لتثبيت المؤمنين، أو استئناف إخبار عما يفعله الله في المستقبل.

وقوله: {فاضربوا فوق الأعناق}: يحتمل أيضاً أن يكون خطاباً للملائكة، أو للمؤمنين، ومعنى

1. التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 61 ـ 62.
2. التسهيل لعلوم التنزيل: 2 /62.

{فوق الأعناق}؛ أي على الأعناق، حيث المفصل بين الرأس والعنق؛ لأنه مذبح، والضرب فيها يطير الرأس، وقيل: المراد الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، وقيل المراد الأعناق، وفوق زائدة. {كل بنان}: قيل هي المفاصل، وقيل الأصابع، وهو الأشهر في اللغة، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال، فأمكن أسره وقتله.[1]

وفي آيات قرآنية أخرى، جرى حديث عن تحديد عدد الملائكة الذين شاركوا المسلمين في قتال أعداء الله ودينه، فقال جل ذكره: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ}(آل عمران: 124 - 126)

ومشاركة الملائكة في مساندة المؤمنين في قتال الظالمين، لم تكن رمزية، بل وقعت حقيقة، فعن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: قال النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم أحد: (هذا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عليه أَدَاةُ الْحَرْبِ)[2]

وعن مُعَاذِ بن رِفَاعَةَ بن رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عن أبيه - وكان أَبُوهُ من أَهْلِ بَدْرٍ - قال: (جاء جِبْرِيلُ إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: ما تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قال: من أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ - أو كَلِمَةً نَحْوَهَا -، قال: وكَذَلِكَ من شَهِدَ بَدْرًا من الْمَلاَئِكَةِ)[3]، فجبريل، عليه السلام، أشار في هذا الحديث إلى المنزلة الرفيعة التي فُضل بها الملائكة الذين شهدوا بدراً، ما يؤكد مشاركة الملائكة فعلياً في القتال إلى جانب جيش المسلمين في بدر.

1. التسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 62.
2. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد.
3. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً.

النعاس والماء: من جند الله، التي أيد الله المؤمنين بها يوم بدر؛ النعاس، والماء، وعن ذلك يقول جل شأنه:{إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ}(الأنفال:11)

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه ألقى النعاس على المؤمنين؛ ليجعل قلوبهم آمنة غير خائفة من عدوها؛ لأن الخائف الفزع لا يغشاه النعاس، وظاهر سياق هذه الآية أن هذا النعاس ألقي عليهم يوم بدر؛ لأن الكلام هنا في وقعة بدر، وذكر في سورة آل عمران أن النعاس غشيهم أيضاً يوم أحد، وذلك في قوله تعالى في وقعة أحد: {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ...}(آل عمران: 154).(*)

السكينة والطمأنينة: ومما يؤيد الله به المؤمنين عند الصعاب والشدائد، السكينة والطمأنينة، وعن هذا يقول عز وجل: {ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الكَافِرِينَ}(التوبة: 26)

وذكر الله السكينة التي أيد بها نبيه محمداً، صلى الله عليه وسلم، يوم هجرته من مكة إلى المدينة، فقال تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(التوبة: 40)

وتكرر ذكر السكينة التي يؤيد الله بها المؤمنين في ثلاث آيات من سورة الفتح، فقال تعالى:{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً}(الفتح: 4)، فالسكينة من جنود الله في السماوات والأرض التي

* أضواء البيان: 2/ 50 ـ 51.

يؤيد الله بها عباده في مواطن كثيرة، منها عند بيعة الرضوان، يقول تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً} (الفتح: 18)

{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}(الفتح: 26)

وعن الْبَرَاءِ، رضي الله عنه، قال: (بَيْنَمَا رَجُلٌ من أَصْحَابِ النبي، صلى الله عليه وسلم، يَقْرَأُ وَفَرَسٌ له مَرْبُوطٌ في الدَّارِ، فَجَعَلَ يَنْفِرُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ، فَنَظَرَ فلم يَرَ شيئاً، وَجَعَلَ يَنْفِرُ، فلما أَصْبَحَ ذَكَرَ ذلك لِلنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، فقال السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالْقُرْآنِ).[1]

دب الرعب والفزع في قلوب الأعداء: في مقابل إنزال السكينة على المؤمنين، فإن الله سلط على عدوهم الرعب، وقد جاء في صحيح البخاري، **بَاب قَوْلِ النبي، صلى الله عليه وسلم، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَقَوْلِهِ جل وعزَّ:** {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ}(آل عمران:151) قَالَهُ جَابِرٌ عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وفيه عن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ).[2] وقال صلى الله عليه وسلم: (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ)[3]

ومن أساليب دبِّ الرعب في قلوب الأعداء، وطمأنة المؤمنين، أن الله هيأ للمؤمنين أن يروا أعداءهم قلة، وهيأ للأعداء أن يروا المؤمنين قلة، فقال تعالى: {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ

---

1. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الفتح، باب: {هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين}(الفتح: 4).
2. صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (بعثت بجوامع الكلم).
3. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً).

فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ}(الأنفال: 44)

ويقول جلَّ شأنه: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ}(آل عمران: 13)

تسديد الرمي: من أنواع المدد الرباني للجيش المؤمن يوم بدر، أن الله سبحانه وتعالى سدد رمي المسلمين بقدرته ومؤازرة جنده، فقال جل شأنه: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(الأنفال: 17)

أي لم يكن قتل المحاربين المشركين في قدرة المؤمنين؛ لأنهم أكثر قوة، ولكن الله قتلهم بتأييده عليهم وبالملائكة، وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى، ورمى بها وجوه الكفار، فانهزموا، وإنما كان ذلك بتوفيق الله جلَّ شأنه وتسديده.

عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: (دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ؛ مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: يَا أَبَتِ مَا لِي لاَ أَبْكِي، وَهَؤُلاَءِ المَلأ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْحِجْرِ، يَتَعَاقَدُونَ بِاللاَتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى، لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَامُوا إِلَيْكَ فَيَقْتُلُونَكَ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، إِلاَّ وَقَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، ائْتِنِي بِوَضُوءٍ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَا هُوَ ذَا فَطَأْطَئُوا رُءوسَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ، فَلَمْ يَرْفَعُوا أَبْصَارَهُمْ، فَتَنَاوَلَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَحَصَبَهُمْ بِهَا، وَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، فَمَا أَصَابَ رَجُلاً مِنْهُمْ حَصَاةٌ مِنْ حَصَاتِهِ، إِلاَّ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا)(*).

وفي رواية في صحيح مسلم أن النبي، صلى الله عليه وسلم، فعل مثل هذا يوم حنين، عن إِيَاس بن سَلَمَةَ حدثني أبي، قال: (غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، حُنَيْنًا، فَلَمَّا وَاجَهْنَا الْعَدُوَّ، تَقَدَّمْتُ، فَأَعْلُو ثَنِيَّةً، فَاسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرْمِيهِ بِسَهْمٍ فَتَوَارَى عَنِّي، فَمَا دَرَيْتُ مَا

* المستدرك على الصحيحين للحاكم، 1 /268، وقال: هذا حديث صحيح.

صَنَعَ، وَنَظَرْتُ إِلَى الْقَوْمِ، فَإِذَا هُمْ قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثَنِيَّةٍ أُخْرَى، فَالْتَقَوْا هُمْ وَصَحَابَةُ النَّبِي، صلى الله عليه وسلم، فَوَلَّى صَحَابَةُ النَّبِي، صلى الله عليه وسلم، وَأَرْجِعُ مُنْهَزِمًا، وَعَلَيّ بُرْدَتَانِ مُتَّزِرًا بِإِحْدَاهُمَا مُرْتَدِيًا بِالأُخْرَى، فَاسْتَطْلَقَ إِزَارِي، فَجَمَعْتُهُمَا جَمِيعًا، وَمَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، مُنْهَزِمًا، وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الشَّهْبَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ رَأَى ابْنُ الأَكْوَعِ فَزَعًا، فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: شَاهَتِ الوُجُوهُ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا، إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ).(*)

وهذا يتفق مع قول الشاعر:

إذا لم يكنْ عونٌ من الله للفتى فأولُ ما يجني عليه اجتهادُهُ

النصر محصور بالإرادة الربانية:

في ثنايا الحديث عن المدد الرباني للمؤمنين، أكد رب البرية سبحانه، أن النصر لا يكون إلا من عنده سبحانه، فقال جل ذكره: {وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(الأنفال: 10)، فالله حصر النصر بإرادته وقدرته سبحانه، دون تعلق بكثرة عدد أو قلته، ولا بنوع عتاد وبأسه، ومعلوم في اللغة أن الاستثناء من النفي إثبات.

فالله خلق الخواص وبيده سبحانه نزعها وتعطيلها، من هنا كان النصر بالأثر النفسي، وهو سبحانه الذي بقدرته تعطلت خاصية الإحراق عن النار، وانقلبت إلى نقيضها، فأصبحت النار ذات اللهب المحرق برداً وسلاماً، تبعاً لأمره جل في علاه، حسب ما جاء في الإخبار

* صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين.

القرآني عن جانب من معركة إبراهيم، عليه السلام، مع قومه، حيث يقول عز وجل: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ* قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ} (الأنبياء: 68 - 70)، وهنا ينبغي التنبيه إلى الحقائق الآتية:

* **حقيقة ربط حدوث النصر أو الهزيمة، رغم الظروف كلها، بالمشيئة الربانية والقدرة الإلهية**، فهو سبحانه يُصَّرِف الأمور كيف يشاء، يقلب الليل والنهار، ويخلق الذكور والإناث، ويجعل من يشاء عقيماً، وينزل الغيث، ويجري السحاب، وخلق الأرض والسماء، وكل شيء عنده بمقدار، وما من شيء كائن إلا بأمره، الذي هو بين حرفين؛ الكاف والنون، وهو القائل عن أفعاله جل شأنه: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}(البقرة: 117)، ويقول عز وجل: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(يس: 82)، ومن الأمور التي يصرفها الله كيف يشاء النصر والهزيمة، فهما من الحوادث المخلوقة، التي يهب الله أياً منها لمن يشاء، ووقت يشاء، فسبحانه بيده الملك، إذ يقول تعالى في فاتحة سورة الملك ـ تبارك: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(الملك: 1)، وهذه الحقيقة ثابتة لا يرتاب بها إلا من لم يذق طعم الإيمان، ومن فقد البصر والبصيرة، وإلا فالأمور تجري في الواقع المشاهد وفقها، كما جرت في سير الغابرين، فالله نصر محمداً، صلى الله عليه وسلم، وصحبه، وهم أقلة ضعفاء في بدر، كما جاء في قوله سبحانه في محكم التنزيل: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(آل عمران: 123)

* **لا يستلزم الإيمان بالحقيقة الإيمانية سالفة الذكر، اختيار نهج الخمول، والكسل، والرضا بالخنوع والهزيمة**، فالله أمر بالعمل، فقال جل ذكره: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}(التوبة: 105)، وفرق

سبحانه بين المجاهدين والقاعدين، بصريح آياته القرآنية، فقال عز وجل: {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً}(النساء: 95)، وعن ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: (لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ من المُؤْمِنِينَ عن بَدْرٍ وَالخَارِجُونَ إلى بَدْرٍ)[1]، فالعمل مطلوب بالتزامن مع طلب الإيمان بحقيقة لا مفر من التصديق بها، تلك التي تفيد بحصر تصريف الأمور بالله، والرسول، صلى الله عليه وسلم، المؤمن الأكمل، ومتلقي الوحي عن ربه، وهو يعد العدة، ويأخذ بالأسباب جميعها، لم يغب عن باله، ولا عن وجدانه، الإيمان بحقيقة أن النصر من عند الله، بدليل أنه استجاب للأمر الرباني المتضمن في قوله تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ}(الأنفال: 60)، فأعدَّ العدة المادية والمعنوية واللوجستية اللازمة للانتصار على العدو، ضمن أقصى الإمكانات المتاحة لديه، وفسر القوة المطلوب إعدادها بالرمي، فعن عُقْبَة بن عَامِرٍ، رضي الله عنه، قال: سمعت رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، وهو على الْمِنْبَرِ يقول: (وَأَعِدُّوا لهم ما اسْتَطَعْتُمْ من قُوَّةٍ، ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ)[2] والرمي يتعدى معناه نوعاً معيناً، بل يشمل مقتضاه أنواع الرمي قديمها وحديثها، فالقوة به، والمطلوب التسلح به للقاءات الأعداء جميعها.

فالإيمان والعمل مرتبطان ارتباط جذور لا قشور، والعمل بلا إيمان معرض للحبوط،

1. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة النساء، باب (لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ)(النساء: 95)

2. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه.

والإيمان بلا عمل يقتضيه، يخالف نهج الله، وسيرة رسوله، صلى الله عليه وسلم، فالمطلوب إعداد وتوكل، حسب التوجيهات الأصيلة، كما في حديث جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم: أُرْسِلُ نَاقَتِي، وَأَتَوَكَّلُ، قَالَ: اعْقِلْهَا، وَتَوَكَّلْ).[1]

وخلص عليه الصلاة والسلام بعد الإيمان والدعاء، وإعداد العدة إلى اليقين بالنصر، وهزيمة الخصم، فعن ابن عَبَّاسٍ، قال: قال النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم بَدْرٍ: (اللهم إني أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللهم إن شِئْتَ لم تُعْبَدْ، فَأَخَذَ أبو بَكْرٍ بيده، فقال: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ، وهو يقول: (سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)).[2]

عبثية الفصل بين العبادة والإيمان:

في ختام التذكير بالرباط الوثيق المحكم بين الإيمان والعمل، والصيام والجهاد، وممارسة الحرب في رمضان، ضد قوى الظلم والعدوان والطغيان، إضافة إلى التذكير بالمدد الرباني الواسع لعباده المتقين، وأوليائه المؤمنين، فإن ذلك كله يظهر متانة الوشائج بين أنواع العبادات، وبينها وبين الإيمان، مما يعني عبثية محاولات الفصل بين هذه القيم والمجالات، فتلك محاولات بائسة محكومة بالفشل؛ لأنها تخالف الحقائق الراسخة، التي أرسى معالمها خالق الكون والكائنات، مدبر الأمر في الأرض والسماوات، وهي فاشلة أيضاً؛ لأنها تترك الآخذين بها حيارى يتخبطون، تتلاطمهم الأمواج، يعجزون عن التشخيص السليم، وعن علاج وضعهم السقيم، فهم مذبذبون، كما قال الله تعالى في الضالين المترددين بين الإيمان وغيره، حيث قال عز وجل: {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً}

---

1. صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الورع والتوكل، وقال الأرنؤوط: حسن.

2. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ }(الأنفال:9)

(النساء: 143)، أعاذنا الله أن نكون من هذا الصنف الضال، وهدانا لنكون ممن رسخ الإيمان في قلوبهم، وأتبعوه بصالح العمل، وخير المواقف، في سرائهم وضرائهم، من الذين أثنى الرسول، صلى الله عليه وسلم، عليهم، كما جاء في حديث صُهَيْبٍ، قال: قال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إلا لِلمُؤْمِنِ، إن أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا له).[1]

من الذين يستجيبون لله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، انصياعاً لأمره عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}(الأنفال: 24) على درب الأخيار، من أمثال خبيب بن عدي، صاحب قول:

فَلَسْتُ أُبَالِي حين أُقْتَلُ مُسْلِمًا على أَيِّ جَنْبٍ كان لِلهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ في ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَـشَأْ يُبَارِكْ على أَوْصَالِ شِـلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

فالحشر إليه سبحانه، والحساب لديه، والمصير مرهون بأمره، فلنسدد ونقارب، ولنطع الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، في شأننا كله، عسى أن يلهمنا الله الرشاد والسداد، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يهب لنا نصراً من لدنه مؤزراً، كنصر الفرقان، الذي أيد الله به المؤمنين في رمضان، يوم التقى الجمعان، إنه سبحانه سميع الدعاء، وبالإجابة جدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو على كل شيء قدير.

1. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير.
2. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب منه.

كلمة العدد

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله/ رئيس التحرير

تمر بالمسلمين كل عام في شهر رمضان المبارك مناسبة نزول القرآن الكريم، حيث يقول منزله جل في علاه:{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...} (البقرة: 185)، ووردت في تفسير قوله تعالى: {الذي أنزل فيه القرآن}ثلاثة أقوال: أحدها، أنه أنزل القرآن فيه جملة واحدة، وذلك في ليلة القدر، إلى بيت العزة من السماء الدنيا، قاله ابن عباس.

والثاني، أن معناه أنه أنزل القرآن بفرض صيامه، روي عن مجاهد والضحاك.

والثالث، أن معناه أن القرآن ابتدىء بنزوله فيه على النبي، صلى الله عليه وسلم، قاله ابن إسحاق وأبو سليمان الدمشقي.(*)

والآية الكريمة تشير إلى غاية نزول القرآن، والتي تتلخص بأن يكون: {هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} وفي التفسير الكبير أن هناك وجوهاً في تفسير قوله تعالى: {وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى} بعد قوله: {هُدًى}، أولها: أنه تعالى ذكر أولاً أنه هدى، ثم الهدى على قسمين؛ تارة يكون هدى للناس بيناً جلياً، وتارة لا يكون كذلك، والقسم الأول لا شك في أنه أفضل،

* زاد المسير، 1/ 187.

فكأنه قيل هو هدى؛ لأنه هو البين من الهدى، والفارق بين الحق والباطل، فهذا من باب ذكر الجنس، ويعطف نوعه عليه؛ لكونه أشرف أنواعه، والتقدير كأنه قيل: هذا هدى، وهذا بين من الهدى، وهذا بينات من الهدى، ولا شك أن هذا غاية المبالغات، والوجه الثاني: أن يقال القرآن هدى في نفسه، ومع كونه كذلك، فهو أيضاً بينات من الهدى والفرقان، والمراد بالهدى والفرقان التوراة والإنجيل، قال الله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ* مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ...}(آل عمران:3 – 4) ، وقال: {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(البقرة:53) وقال: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ}(الأنبياء:48)

فبين تعالى أن القرآن مع كونه هدى في نفسه، ففيه أيضاً هدى من الكتب المتقدمة، التي هي هدى وفرقان، والوجه الثالث أن يحمل الأول على أصول الدين، والهدي الثاني على فروع الدين، فحينئذ يزول التكرار، والله أعلم.(*)

نزول القرآن في ليلة القدر المباركة:

أفصحت آيات القرآن الكريم عن نزوله في إحدى ليالي شهر رمضان، ألا وهي ليلة القدر، التي تفوق بالقدر والوزن ألف شهر، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القَدْرِ* لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ المَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ* سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ}(القدر: 1 – 5)، فهذه السورة الكريمة سميت بالقدر نسبة إلى قدر الليلة التي أنزل فيها القرآن، والمراد بالقدر الذي وصفت به هذه الليلة، كما ورد في التفسير الكبير، أنها إنما سميت بهذا الاسم؛ لأن قدرها وشرفها عند الله عظيم، ومعلوم أنه ليس قدرها

* التفسير الكبير، 5 /75.

وشرفها، لسبب ذلك الزمان؛ لأن الزمان شيء واحد في الذات والصفات، فيمتنع كون بعضه أشرف من بعض لذاته، فثبت أن شرفه وقدره، بسبب أنه حصل فيه أمور شريفة عالية، لها قدر عظيم، ومرتبة رفيعة، ومعلوم أن منصب الدين أعلى وأعظم من منصب الدنيا، وأعلى الأشياء وأشرفها منصباً في الدين هو القرآن؛ لأنَّ به ثبتت نبوّة محمد، صلى الله عليه وسلم، وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل في سائر كتب الله المنزّلة، كما قال في صفته: {وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} (المائدة: 48)، وبه ظهرت درجات أرباب السعادات، ودركات أرباب الشقاوات، فعلى هذا لا شيء إلا والقرآن أعظم قدراً، وأعلى ذكراً، وأعظم منصباً منه، فلو كان نزوله إنما وقع في ليلة أخرى سوى ليلة القدر، لكانت ليلة القدر هي هذه الثانية لا الأولى، وحيث أطبقوا على أن ليلة القدر التي وقعت في رمضان، علم أن القرآن إنما أنزل في تلك الليلة.[1]

وفي أضواء البيان أن معنى قوله: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ}أي في ليلة التقدير لجميع أمور السنة من رزق، وموت، وحياة، وولادة، ومرض، وصحة، وخصب، وجدب، وغير ذلك من أمور السنة جميعها، قال بعضهم: حتى إن الرجل لينكح ويتصرف في أموره، ويولد له، وقد خرج اسمه في الموتى في تلك السنة.[2]

وأرجح الأقوال في موعد ليلة القدر أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان، فعن ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما، أَنَّ رِجَالاً من أَصْحَابِ النبي، صلى الله عليه وسلم، أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ في الْمَنَامِ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فقال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم: (أَرَى رُؤْيَاكُمْ قد تَوَاطَأَتْ في

1. التفسير الكبير، 27/ 203 - 204.
2. أضواء البيان، 7/ 173.

السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كان مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ)[1]

ووصفت ليلة نزول القرآن الكريم أيضاً بالمباركة، حسب ما جاء في سورة الدخان، حيث يقول جل شأنه: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ}(الدخان: 3)، جاء في التسهيل لعلوم التنزيل، أن قوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة} يعني ليلة القدر من رمضان، وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل به جبريل على النبي، صلى الله عليه وسلم، شيئاً بعد شيء.[2]

نزول القرآن منجماً ـ مفرقاً ـ:

اقتضت حكمة الله تعالى وإرادته أن لا ينزل القرآن الكريم جملة واحدة، بل نزل منجماً ـ أي مفرقاً ـ وكثيراً ما كان يتعلق النزول بمناسبات وحوداث معينة، فيقول عز وجل: {وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً}(الإسراء: 106)، وقد تعرضت هذه الآية الكريمة بالإشارة إلى بعض حكم نزول القرآن مفرقاً، وذلك لتمكين النبي، صلى الله عليه وسلم، من قراءته على الناس، على مهل وتثبت؛ فإنه أيسر للحفظ، وأعون على الفهم، وقرئ {مَكث} بالفتح، وهو لغة فيه، ومعنى قوله تعالى: {ونزلناه تنزيلاً} أي حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة، ويقع من الحوادث والواقعات.[3]

من أوصاف القرآن في القرآن:

وردت أوصاف عديدة للقرآن الكريم ذكرتها آيات التنزيل، وكل وصف منها له معانيه

---

1. صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر.
2. التسهيل لعلوم التنزيل، 4/ 34.
3. تفسير أبي السعود، 5/ 199.

ودلالاته، ومن تلك الأوصاف المقتبسة من القرآن نفسه، ما يأتي:

القرآن عربي، ومن الآيات القرآنية التي ذكرت لغة القرآن، قوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(يوسف: 2)، وتكرر هذا الذكر، وتأكد في آيات قرآنية أخرى، كما في الآية 28 من سورة الزمر، والآية 113 من سورة طه، والثالثة من سورة فصلت، والسابعة من سورة الشورى، والثالثة من الزخرف.

ليس له عوج، حيث يقول جل شأنه في الآية الأولى من سورة الكهف: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا}(الكهف:1)؛ أي لم يجعل في القرآن عوجاً ـ أي لا اعوجاج فيه البتة ـ لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني، أخباره كلها صدق، وأحكامه عدل، سالم من العيوب جميعها، في ألفاظه ومعانيه وأخباره وأحكامه؛ لأن قوله: {عوجاً} نكرة في سياق النفي، فهي تعم نفي أنواع العوج جميعها. وما ذكره جل وعلا هنا من أنه لا اعوجاج فيه، بينه في مواضع أخر كثيرة، كقوله: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* قُرْءاناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}(الزمر:27 - 28) وقوله: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(الأنعام:115)، فقوله: {صدقاً}أي في الأخبار، وقوله: {عدلاً}أي في الأحكام، وكقوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}(النساء:82) والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.(*)

ووصف القرآن بالكريم والعظيم والمجيد والمبين، فقال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}(الواقعة:77)، ووصف بالعظيم، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} (الحجر: 87)، ووصف بالمجيد كما في قوله جل شأنه: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}(ق: 1) وهو مبين، كما في قوله

* أضواء البيان، 3 /192.

تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ}(الحجر: 1)، وفي الآية الأولى من سورة النمل، والآية 69 من سورة يس.

وورد في القرآن الكريم ذكر أوصاف ربانية وخصائص أخرى له، فهو من عند الله جلَّ في علاه، ولن يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بسورة منه، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وهو يهدي للتي هي أقوم، وشفاء ورحمة وهدى ونور، وقرآن الفجر مشهود، وفيه من كل مثل، الحكيم ذو الذكر، والجن لما سمعوه شهدوا له بالعجب، والجبال تخشع وتتصدع من خشية الله لو أنزل عليها.

التواصل مع القرآن:

ينبغي أن يكون الناس على دراية بالغاية العليا من نزول القرآن الكريم، وكيفية التواصل معه، فهو كتاب رباني لهداية العالمين، وما فيه من قصص وترغيب وترهيب وتشريع، يخدم هذه الغاية، بأساليب وقوالب متنوعة ومشوقة، ومن أراد الاستفادة من نفع القرآن وخيره، وثواب التواصل معه بالقراءة والتدبر، والعمل بما جاء فيه، فعليه أن يقرأه بتؤدة وترتيل، ويبحث عن تفسير آياته، وأحكامه، ومن أكبر آفات التعامل معه هجره، والإدبار عنه، وهي حالة شكاها الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى ربه عز وجل، وفق ما جاء من إخبار عن ذلك، ويفسر صاحب (أضواء البيان) المراد بهجر القرآن، فيقول: معلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ـ أي تصفحها، وتفهمها، وإدراك معانيها، والعمل بها ـ فإنه معرض عنها، غير متدبر لها، فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات، إن كان الله

أعطاه فهماً يقدر به على التدبر، وقد شكا النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى ربه من هجر قومه هذا القرآن، حسب ما جاء في قوله تعالى: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً}(الفرقان:30)، فتدبر القرآن، وتفهمه، وتعلمه، والعمل به، أمر لا بد منه للمسلمين. وقد بين النبي، صلى الله عليه وسلم، أن المشتغلين بذلك هم خير الناس، كما ثبت في حديث عثمان بن عفان، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (خَيْرُكُمْ من تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[1] وقال تعالى: {...وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} (آل عمران:79).[2]

الرُقية بالقرآن:

الرقية أسلوب من أساليب العلاج الصحي والبدني، تستخدم إلى جانب تناول العقاقير الطبية اللازمة للعلاج، شريطة خلوها من الطلاسم وأي أنواع الشرك، فعن عَوْفِ بن مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، قال: (كنا نَرْقِي في الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَيْفَ تَرَى في ذلك؟ فقال: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لا بَأْسَ بِالرُّقَى، ما لم يَكُنْ فيه شِرْكٌ).[3]

وثبت بالدليل ممارسة الرقية بالقرآن، فعن عَائِشَةَ (أَنَّ النبي، صلى الله عليه وسلم، كان إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: {قُلْ هو الله أَحَدٌ}وَ{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} وَ{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس} ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا ما اسْتَطَاعَ من جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا على رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وما أَقْبَلَ من جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذلك ثَلاثَ مَرَّاتٍ).[4]

1. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.
2. أضواء البيان، 7/257.
3. صحيح مسلم، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك.
4. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات.

تلاوة القرآن و ترتيله:

نزلت الآيات القرآنية تحث الرسول، صلى الله عليه وسلم، والمسلمين معه، ومن بعده، على تلاوة القرآن وترتيله، فقال تعالى: {...وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً}(المزمل: 4)، والله كلف الوحي، عليه السلام، بترتيل القرآن على النبي، صلى الله عليه وسلم، بل كان من حِكَمِ نزوله مفرقاً تحقيق هذه الغاية، فقال عز وجل:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً}(الفرقان: 32)

فالقرآن الكريم ينبغي أن يتلى حسب التلاوة التي نقلها الوحي عن الله تبارك وتعالى، فقال جل شأنه: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}(القيامة: 18)

ونهى الله رسوله، صلى الله عليه وسلم، عن القراءة المستعجلة للقرآن، فقال عز وجل:{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً}(طه: 114)

وقال تعالى: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}(القيامة:16)

ومن وصف طريقة تلاوة النبي، صلى الله عليه وسلم، للقرآن، ما جاء عن قَتَادَةَ، قال: (سُئِلَ أَنَسٌ، كَيْفَ كانت قِرَاءَةُ النبي، صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرَّحِيمِ} يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ).(*)

مما سبق يظهر أن الاستعجال في ختم القرآن غير محبذ، بل المطلوب الترتيل والتلاوة المتأنية، التي يراعى فيها تطبيق أحكام التلاوة، بخلاف قراءة بعض الناس الذين يسرعون في القراءة لتسجيل أرقام ختم القرآن، على خلاف المرغوب فيه الذي أكدته السنة المطهرة، فعن عبد اللهِ بن عَمْرٍو، قال: (أَنْكَحَنِي أبي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عن

* صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة.

بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ من رَجُلٍ، لم يَطَأْ لنا فِرَاشًا، ولم يُفَتِّشْ لنا كَنَفًا، منذ أَتَيْنَاهُ، فلما طَالَ ذلك عليه، ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، فقال، الْقَنِي بِهِ، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فقال: كَيْفَ تَصُومُ؟ قال: كُلَّ يَوْمٍ، قال: وكَيْفَ تَخْتِمُ؟ قال: كُلَّ لَيْلَةٍ، قال: صُمْ في كل شَهْرٍ ثَلاثَةً، واقرأ الْقُرْآنَ في كل شَهْرٍ، قال: قلت: أُطِيقُ أَكْثَرَ من ذلك، قال، صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ في الْجُمُعَةِ، قلت: أُطِيقُ أَكْثَرَ من ذلك، قال: أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ، وَصُمْ يَوْمًا، قال: قلت: أُطِيقُ أَكْثَرَ من ذلك، قال: صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ؛ صَوْمَ دَاوُدَ، صِيَامَ يَوْمٍ، وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ في كل سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً، فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم؛ وَذَاكَ أَنِّي كَبِرْتُ، وَضَعُفْتُ، فَكَانَ يَقْرَأُ على بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ من الْقُرْآنِ بِالنَّهَارِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ يَعْرِضُهُ من النَّهَارِ، لِيَكُونَ أَخَفَّ عليه بِاللَّيْلِ، وإذا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّامًا، وَأَحْصَى، وَصَامَ مِثْلَهُنَّ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شيئاً فَارَقَ النبي، صلى الله عليه وسلم، عليه، قال أبو عَبْد اللَّهِ: وقال بَعْضُهُمْ في ثَلاثٍ، وفي خَمْسٍ، وَأَكْثَرُهُمْ على سَبْعٍ)[1]

والناس حيال القرآن وتلاوته، أصناف وأشكال ودرجات، وصفها الرسول، صلى الله عليه وسلم بقوله: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لا رِيحَ لها، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الذي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيس لها رِيحٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ)[2]

فهنيئاً لمن كان مثل الأُتْرُجَّةِ، مؤمن يقرأ القرآن، ريحه طيب، وطعمه طيب، وبئس من كان من صنف الحنظلة، أو الريحانة.

1. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن.
2. صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام.

التغني بالقرآن:

من ميزات القرآن الكريم، قابليته لجذب القلوب، وشد الأسماع، لموسيقاه، وبيانه، وبلاغته، ومضامينه، وسواء فسر التغني به بتجويد صوت قارئيه، أم بغير ذلك، فهي ميزة من ميزاته، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّهُ كان يقول: قال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم: (**لم يَأْذَنْ الله لِشَيْءٍ ما أَذِنَ لِلنَّبِيِّ، أن يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، وقال صَاحِبٌ له يُرِيدُ يَجْهَرُ بِهِ**) [1]، وعن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (**ما أَذِنَ الله لِشَيْءٍ ما أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، قال سُفْيَانُ: تَفْسِيرُهُ يَسْتَغْنِي بِهِ**).[2]

ولما سمع الرسول، صلى الله عليه وسلم، قراءة أبي موسى الأشعري للقرآن، أثنى عليها، وقال له: (**يا أَبَا مُوسَى؛ لقد أُوتِيتَ مِزْمَارًا من مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**).[3]

وهنا لا مجال للاختلاف بأن المقصود حسن الصوت، ومعنى قوله: (**لقد أُوتِيتَ**) بصيغة المجهول، (**مِزمَاراً**): بكسر الميم؛ أي صوتاً حسناً ولحناً طيباً، قال الحافظ المراد بالمزمار الصوت الحسن، وأصله الآلة، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة، وقوله: (**من مزامير آل داود**) أي من ألحانه.

وعن النووي في شرح مسلم، قال العلماء: المراد بالمزمار هنا الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء، وآل داود هو داود نفسه، وآل فلان قد يطلق على نفسه، وكان داود، صلى الله عليه وسلم، حسن الصوت جداً[4]، لكن بالتأكيد، فإن القراءة الحسنة للقرآن تكون وفق أحكام

1. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغنَّ بالقرآن.
2. التخريج نفسه.
3. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن.
4. تحفة الأحوذي، 10/ 241

التجويد والتلاوة المأثورة.

تدبر القرآن والتذكير به:

أفضل ما تكون عليه قراءة القرآن، أن تتم تلاوة وترتيلاً، مع تدبر المقروء، حيث أنكر الله تعالى على الذين لا يتدبرون القرآن، فقال جل شأنه: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}(النساء: 82)، وقال عز وجل: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}(محمد: 24)

وتدبر القرآن يقود إلى الانتفاع من التذكير به، حيث يسره الله لذلك، فقال جل شأنه: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}(القمر: 17)، أي يسرناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة، فإنه يحفظه الأطفال وغيرهم حفظاً بالغاً، بخلاف غيره من الكتب، وقيل: معنى الآية سهلناه للفهم والاتعاظ به؛ لما تضمن من البراهين والحكم البليغة.(*)

ومعلوم أن هذه الآية الكريمة تكرر ذكرها أربع مرات في سورة القمر، وذلك في الآيات 17، و22، و32، و40، منها، ومن المحال أن يكون ذلك عبثاً، وإنما هو حافز للذكر والاتعاظ، وأمر جلَّ جلاله بالتذكير بالقرآن في قوله عز وجل: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}.(ق: 45)

ويشترط لتلاوة القرآن وتجويده أن يتما بعيداً عن الرياء، فعن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، رضي الله عنه، أَنَّهُ قال: (سمعت رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يقول: يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مع صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مع صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مع عَمَلِهِمْ، ويقرءون الْقُرْآنَ، لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ في النَّصْلِ، فلا يَرَى شيئاً، وَيَنْظُرُ في القِدْحِ، فلا يَرَى

* التسهيل لعلوم التنزيل، 4/ 81.

شيئاً، وَيَنْظُرُ في الرِّيشِ، فلا يَرَى شيئاً وَيَتَمَارَى في الفُوقِ).[1]

اسْتِذْكَارِ الْقُرْآنِ وَتَعَاهُدِه:

يجدر بالمسلم المتواصل مع القرآن الكريم، قراءةً وتدبراً وحفظاً أن يتعاهده بالمراجعة الدائمة، وتثبيت الحفظ والاستذكار، لحديث نَافِعٍ، عن ابن عُمَرَ، رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، قال: (إنما مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إن عَاهَدَ عليها أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ).[2]

قوله: (إن عَاهَدَ عليها أَمْسَكَهَا): أي استمر إمساكه لها، وقوله: (وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ): أي انفلتت.[3] وورد الذم للذي ينسى ما حفظ منه، بسبب إهمال المراجعة والتثبيت، فعن عبد اللهِ، قال: قال النبي، صلى الله عليه وسلم: (بِئْسَ ما لأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ، وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ، فإنه أَشَدُّ تَفَصِّيًا من صُدُورِ الرِّجَالِ من النَّعَمِ).[4]

وقد روي في عمدة القاري عن القرطبي بشأن نُسِّيَ ونَسِيَ، قوله: التثقيل معناه أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته واستذكاره، والتخفيف: أن الرجل تركه غير ملتفت إليه.[5]

وعن أبي مُوسَى، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بيده لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا من الإِبِلِ من عُقُلِهَا).[6]

1. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به.
2. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده.
3. فتح الباري، 9/ 79.
4. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده.
5. عمدة القارئ، 20 / 48.
6. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده.

الاستماع للقرآن والإنصات له والعمل به:

بعض الناس أميون، أو لا يتقنون القراءة، فيمكنهم الاستعاضة عنها بالسماع للتلاوة، لينالوا بعض ما فاتهم من خير تلاوته وتدبره، وحسن الإصغاء لتلاوة القرآن والإنصات لها، مطلوب من المسلمين عموماً، استجابة لأمر الله عز وجل:{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(الأعراف: 204)، وللمفسرين أقوال بشأن المراد بالاستماع والإنصات هنا، فذكر أن فيه ثلاثة أقوال: أحدها، أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة، والثاني، أنه الإنصات للخطبة، والثالث، أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق، وهو ما رجح لوجهين: أحدهما، أن اللفظ عام، ولا دليل على تخصيصه، والثاني، أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة.[1]

والعمل بمقتضى ما جاء في القرآن الكريم من أوامر ونواهٍ أمر لازم، بصفته المصدر التشريعي الأول في الإسلام، والرسول، صلى الله عليه وسلم، يقول: (وقد تَرَكْتُ فِيكُمْ ما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، إن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ).[2]

فهذه نفحات مجملة لبعض خصائص القرآن الكريم، وواجب المسلمين نحوه، أحببنا التذكير بها مع حلول شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، الذي نتعبد إلى الله بتلاوته في الصلاة وخارجها، حسب ما شرع الله لنا، عسى أن ينفعنا الله بالقرآن وهداه والتذكير به، وهو كتاب الله المحفوظ إلى يوم الدين، مصداقاً لقول رب البرية: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر:9) ومن اتبعه وعمل به فلا يضل ولا يشقى.

---

1. التسهيل لعلوم التنزيل، 2/ 59 - 60.
2. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، صلى الله عليه وسلم.

المسجد الأقصى بحلته الرمضانية:

بين مهابة المكان.. وسلوكات يجب تصويبها

أ.عزيز محمود العصا / عضو الهيئة الإسلامية العليا

مقدمة:

إذا كانت القدس تمثل كرامة الأمة، ورمز كبريائها، فإن المسجد الأقصى المبارك هو ذروة سنامها. فقد شرفه الله سبحانه وتعالى بشيئين لم يجتمعا في مكان غيره على وجه هذه المعمورة. أما التشريف الأول، فهو الإسراء إليه بأشرف خلق الله كلهم، محمد، صلى الله عليه وسلم، وأما التشريف الثاني، فهو بتسميته بالمسجد الأقصى، التي لم تكن قد أطلقت عليه من قبل، لقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.(الإسراء: 1)

وبين هذين التشريفين يقع الحدثان اللذان شكلا انعطافًا في تاريخ البشرية جمعاء، وهما: المعراج به صلى الله عليه وسلم إلى السماوات العُلا، وصلاته إماماً بالأنبياء والرسل أجمعين، الأمر الذي جعل من هذا المكان شاهداً على مسؤولية الإسلام والمسلمين عن البشرية جمعاء، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، كما يُقرأ من تلك الأحداث الكبرى، أن لهذا المكان مهابة ومكانة لا تُضاهى على وجه البسيطة.

من بين التكليفات والعبادات التي حملها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لأمته، في أثناء رحلة المعراج، كان صوم شهر رمضان من كل عام، الذي قال فيه سبحانه وتعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ

الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} (البقرة: 185).

وفي فلسطين منّ الله علينا أن نصوم رمضان، ونحن على هذه الأرض المباركة، وفي رحاب المسجد الأقصى المبارك، الذي بارك الله حوله، ما يعني أننا أمام مسؤولية كبرى، ومضاعفة أمام الله، وأمام أبناء أمتنا، الذين يغبطوننا على ما نحن فيه، وأمام الإنسانية التي كُلّفنا بتوجيهها نحو الخير، بغض النظر عن الآلام والأوجاع التي يسببها لنا الاحتلال البغيض، الذي هو زائل يومًا ما بعون الله، كما زالت الاحتلالات التي سبقته.

تهدف المقالة الآتية إلى تسليط الضوء على واحدة من القضايا والظواهر السلبية التي نلمحها في رحاب المسجد الأقصى المبارك، وعلى الطرقات المؤدية إليه، والتي تصل ذروتها خلال شهر رمضان المبارك، بخاصة أيام الجمع الرمضانية. فشهر رمضان يشهد ذروة التواجد البشري الضخم للمسلمين في هذا المكان الطاهر، الذي يمكنهم الدخول إليه عبر حواجز الاحتلال ومعوقاته، من المدن والقرى والمخيمات والأرياف كافة.

التزاحم وازدحام البوابات والطرقات بالمصلّين:

يتوجه المصلّون الصائمون إلى المسجد الأقصى المبارك من أجل العبادة، والتقرب إلى الله سبحانه، بالصلاة والقيام، والتضرع إليه سبحانه، طالبين المغفرة، بقلوب نقية تقية. إلا أن هؤلاء، وهم يغادرون إلى مساكنهم، يجدون أنفسهم، من حيث لا يدرون، قد وقعوا في شَرَكِ ممارسات غير محمودة، تتمثل في: التدافع والتزاحم والالتصاق (كل بمن حوله). وتعود أسباب ذلك إلى ما يأتي:

1) تدافع المصلين؛ بما لا يدع مجالاً للأولويات للنساء والأطفال والشيوخ، الأمر الذي يتطلب التركيز عليه، ودوام التذكير به من قبل خطباء منبر المسجد الأقصى، لعل في ذلك

ما ينبه المصلين ويرشدهم إلى ما فيه الخير، بتجنب الشبهات، والابتعاد عن مفسدات الصلاة والصوم، بأشكالها وصورها المختلفة، مهما صغرت أو كبرت.(*)

2) تضييق الطرق من قبل التجار، بتشكيل ما يشبه عنق الزجاجة الضيق جداً، عندما يلقون ببضائعهم في طريق المصلّين، بخاصة عند مخارج الأبواب الرئيسة: العامود، والأسباط، والساهرة، بما يعوق المرور فعلًا؛ حتى يجعل معدل تدفق المصلِّين بأقل عدد ممكن، الأمر الذي يجبر المصلّي الصائم على المكوث لأكثر من ساعتين حتى يقطع المسافة بين المسجد الأقصى وباب العامود مثلاً، والتي لا تحتاج في الأوقات العادية، وفي المتوسط، إلى أكثر من ربع ساعة من الزمن.

ويلاحظ المراقب لما يجري في هذا الجانب أن ما تسمى ببلدية الاحتلال -ذات السطوة والقوة التنفيذية- تغض النظر عما يجري، بل تبدو وكأنها تشجعه! في حين أن المقدسيين لا يملكون أي سلطة تنفيذية في مثل هذه الحالات. وهنا، نطرح التساؤل الآتي: ماذا كانت ستفعل تلك البلدية لو كان الأمر يتعلق بالمصلّين اليهود؟! هل كانت ستسمح بحدوث ذلك؟ أم أنها ستلقي بهؤلاء التجار في غياهب السجون والمعتقلات، وتحرمهم من مصدر رزقهم؛ بمصادرة بضائعهم وإرهاقهم بالمخالفات المالية والضرائب التي تشل تجارتهم، وتجعلها في مهب الريح.

نحن لا نطالب الاحتلال بمعاقبة أبنائنا، وقطع أرزاقهم، وحاشى لله أن نكون كذلك، ولكننا نتوجه إلى صانعي القرار لدينا بدعوة هؤلاء؛ لأن يكونوا عونًا للمصلين الصائمين، وعناصر بناء وتشجيع على القدوم إلى المسجد الأقصى المبارك وإعماره، والصلاة فيه، وإرشادهم، وتبيان الضرر الذي يتركونه على المصلّين بتصرفاتهم هذه، ومنعهم بالسبل جميعها، من جعل

* العصا، عزيز (2016). المسجد الأقصى: هموم رمضانية.. تتكرر رغم الجهود! نشر في صحيفة القدس المقدسية بتاريخ 22 /06 /2016م. ص: 17.

بضائعهم أدوات إعاقة لمرور المصلين وتحركهم.

3) إغلاق أبواب المسجد الأقصى ليلاً من قبل سلطات الاحتلال، وحصر دخول المصلّين إلى المسجد، حيث تقوم سلطات الاحتلال بإغلاق باب الأسباط بعد صلاة المغرب مباشرة، مما يضطر المصلّين إلى التوجه إلى باب حطة؛ فتضاعف المسافة التي عليهم قطعها، كما تضيَّق الطريق أمام تزاحم المصلين، علمًا بأن باب الأسباط هو الباب الثاني، بعد باب الناظر -المجلس- من حيث كثافة دخول المصلين وخروجهم، فهو يغطي سير المصلين القادمين من الجهة الجنوبية والشرقية، وجزءاً من القادمين من شمالي القدس.

ويؤدي ذلك إلى حدوث التزاحم الشديد، الذي يصل ذروته بعد صلاتي العشاء والفجر، فيُجبر المصلي على أن يسلك الطريق إلى باب حطة، في طريق مزدحم بالسيارات؛ ولا يكاد يجد موطئاً لقدمه للحركة.

وفي هذا الجانب، لا بد من التوجه إلى المحافل والمؤسسات الدولية، من أجل فضح هذه الممارسات الاحتلالية التي تهدف إلى إعاقة وصول المصلّين المسلمين إلى المسجد الأقصى المبارك، وأحيانًا كثيرة يتسع نطاق الإعاقة هذا، حتى يصل لحد المنع البات والقطعي لآلاف المصلين من مختلف المناطق، ومن الفئات العمرية المختلفة.

التعسف في استخدام الحقوق:

لا بد من التنبيه للظواهر أو المظاهر السلبية التي علينا التوقف عندها بالمراجعة والتقويم؛ للتوصل إلى الأفضل، بل أفضل الأفضل، فيما يجب أن يكون عليه حال المصلين في المسجد الأقصى، بخاصة في الحالات التي تتزاحم فيها الأقدام، وتلتصق الأكتاف؛ من كثرة زوار المسجد ورواده، القادمين من أرجاء الوطن كافة، منها:

- التعسف في استخدام الحق الشخصي؛ وذلك بأن يجلس المصلي، أو يتحرك داخل المسجد

وفي ساحاته وباحاته، بما يسبب إزعاجاً حقيقياً لمن هو في الجوار، أو من هم في مسلكه.

• هناك من يمنح نفسه (حق!!) القيام بأنشطة المتاجرة؛ ببيعٍ وشراءٍ في باحات المسجد. وهي تصرفات غير جائزة شرعاً لما تسببه من تشتيت المصلين، والتأثير (السلبي) في أجواء الاستقرار والطمأنينة، التي يجب على الجميع المحافظة عليها، والحرص على إشاعتها في المسجد.

• هناك من التصرفات والسلوكات الناجمة عن عدم الانتماء للمكان، وعدم الرهبة من قدسيته ومهابته؛ التي ينبثق عنها تراكم القمامة، وبقايا الطعام، وما يعنيه ذلك من انتشار الحشرات، وانبعاث الروائح، وغير ذلك من الملوثات البيئية. وتتسع هذه الظاهرة في الأيام الرمضانية، جرّاء إقامة الولائم في ساحات المسجد الأقصى وباحاته، دون القيام بالخطوة الآتية؛ وهي إزالة بقايا الطعام، ووضعها في الأماكن المخصصة لها، والتي توفرها إدارة الأوقاف الإسلامية في القدس الشريف، وكذلك المتطوعون من الكشافة وغيرهم، الذين يسهرون على راحة المصلّين وأمنهم وأمانهم.

• التزاحم والتدافع غير المنضبط والخارج عن المألوف، عندما يتعلق الأمر بالحصول على حق ما من حقوق الفرد؛ كاستخدام الحمامات، أو الحصول على وجبة إفطار أو سحور، أو غير ذلك. ففي هذه الحالات تجد من يخرج عن الأخلاق الإسلامية (التي فطر عليها وتربى)، مستخدماً ما آتاه الله، سبحانه، من قوة وقدرة في إيذاء الآخرين؛ لكي يحرمهم من حقوقهم، ويستولي على ما يريد بمنطق القوة، وليس بقوة المنطق والخلق الرفيع.

• لعل من أكثر القضايا إيلامًا، ظاهرة التسول في ساحات المسجد الأقصى وباحاته، من قبل فئة ليست من الفقر في شيء؛ وإنما يشتبه في أن يكون المتسول -ومعظمهن من النساء اللواتي يستخدمن الأطفال- يعمل لصالح جهة (تستثمر!) فيه، مستغلة عطف المصلين، وتعاطفهم مع الفقراء، بخاصة في تلك الأيام الرمضانية، التي توقظ في نفس المسلم الرغبة في

التصدق؛ احتسابًا لوجه الله تعالى.

لنُذَكِّرَ أنفسنا بما ينفعنا:

قبل أن نغادر هذه العجالة، نود التذكير بأن ثواب زيارة الأقصى لا يكمن في الصلاة فقط، وإنما لها معانٍ أخرى، أقلها الاستحمام بعطر التاريخ منذ اليبوسيين، إلى أن أصبحت مسرى رسول البشرية محمد، صلى الله عليه وسلم، وإلى يومنا هذا، وما يعنيه ذلك من التزام بالعمل ليلَ نهارَ، من أجل تحريره، وفك قيوده وأصفاده، التي إن لم ننتبه لها، فلن تبقى قدس، ولن يبقى أقصى- لا سمح الله-، ونحن نشد على أيدي خطباء المسجد الأقصى الذين يبدعون في رسم اللوحة، التي تحمل ألوان الطيف الإيماني المتكامل؛ الذي لا يهمل صغيرة ولا كبيرة في الهم العقائدي-والوطني المقاوم للظلم والطغيان، نقول:

1. إنها الرسالة الإيمانية التي على كل فردٍ من أبناء الأمة أن يعيشها في حله وترحاله، في صلاته وصيامه وقيامه.. رسالة يجب أن تعتمر بها جوارح المؤمن وجوانحه، ما دام الأقصى يرزح تحت نير الاحتلال.

2. آل إلينا المسجد الأقصى، منذ الإسراء والمعراج، وعلى القدس تنافست الإمبراطوريات، والقوى العظمى والصغرى عبر التاريخ، من كلدان وبابليين، إلى فراعنة ورومان وبيزنطيين ويونان.. وفي كل تلك المراحل، وإلى يومنا هذا، كانت القدس ميزان السلام والحرب في هذا العالم.

3. المسجد الأقصى المبارك ملتقى الأنبياء، وبوابة الكون؛ درب الأنبياء إلى السماء، وفي أكنافه عقدت العهدة العمرية، التي ترجمت سماحة الإسلام مع الديانات الأخرى، كما المسجد الأقصى يعني الكرامة والكبرياء لأمة العرب والمسلمين.

4. المسجد الأقصى المبارك هو المكان الذي تتطهر فيه النفوس من القهر والذل والعجز

والضعف. ففيه تصفو النفوس، ومن خلاله تشرئب العيون نحو أعالي المجد الضائع للأمة. وهو المحراب الذي يستقطب طاقات الحرية والتحرير كلّها.

لذا؛ فالصلاة في المسجد الأقصى المبارك جهاد وكفاح وعطاء، وصدق وإخلاص ووفاء، وهي إيمان وعشق وعناء. وهي تكافل وأخوة وإيثار. وهي ثقافة وعلم وحوار. وهي تحدٍ للاحتلال، وتعبير عن إرادة شعب وإصرار.

ختامًا:

على كل من يدخل ساحات الأقصى وباحاته، سواء أكان خطيباً أم مصلياً أم عامل نظافة، أن يستحضر مهابة المعاني والقيم والمثل العليا التي جاء بها الإسلام السمح، حتى تسمو روحه لمستوى قدسية المكان، ومسؤولية ما تمثله الصلاة في المسجد الأقصى من عبق الإيمان. وليعلم كل منا أنه جندي في معركة الحق ضد الباطل عبر المكان والزمان، بهذا فقط نصبح جديرين بدخوله والصلاة فيه.

ونحن نستعرض هذه المظاهر السلبية، وغيرها مما لم يُذكر، فإننا نهدف إلى دقّ ناقوس التنبيه، ولفت النظر إلى أننا نقف على ثَغْرٍ من ثغور الإسلام؛ وأن إيذاءه وإهماله، لا يقل أثراً عن منع الصلاة فيه، ومحاربة رواده من الذاكرين الموحدين. وُنذَكِر كل من يقوم بممارسةٍ فيه ليست من الإسلام والعقيدة في شيء، ويقوم بها عن علم، بقوله تعالى: {**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ...**}.(البقرة: 114)

ملف العدد

ثلاثةُ أَحداثٍ عظيمة بِمجيءِ شهر رمضــان

معين رفيق / مشرف مبحث اللغة العربية - مديرية تربية جنين

دلت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، على أن لشهر رمضان ميزةً على بقيّة شهور العام؛ فكما فضّل الله بعض البشر على بعض، وبعض الأماكن على بعض، فقد فضل بعض الزمان على بعض، ومن ذلك تفضيله سبحانه شهر رمضان المبارك؛ ففي هذا الشهر أُنزل القرآن الكريم، وفيه فرض الله سبحانه الصيام على المُسلمين، قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ...}(البقرة:185)، كما أنّ في هذا الشهر الكريم ليلةً هي خير من ألف شهر، فهو الشهر الأفضل، وفيه الليلة الفضلى، التي هي ليلة القدر، قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}(القدر: 1 - 3)

كما دلت الأحاديث الصحيحة -أيضاً- على أنّ هذا الشهر استثنائي في طبيعة التغييرات التي تحدث فيه، بخلاف الشهور الأخرى، وأنّ ثمّة أحداثاً ضخاماً ترافق مجيئه، وتزيد من رهبته، وجلال مكانته عند الله، وهي إجراءات كونيّة هائلة، لا تقتصر على هذه الدنيا، وإنما تمتدّ إلى الدنيا والآخرة، وعوالم الغيب، ومنها ما يتعلق بالجنة، والنار، والشياطين.

فقد جاء في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه

وسلم، قال: (إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ)[1]، وفي رواية أخرى مشابهة، إلا من تغيير في بعض الكلمات: (إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ).[2]

وجاء في رواية ثالثة حديث مشابه، مع زيادة في التوضيح، ونصّه: (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وذلك في كل ليلة).[3]

دلالات هذه الأحداث وإيحاءاتها:

لقد جاء الحديث الشريف على صيغة أسلوب الشرط؛ المكوّن من أداة الشرط(إذا)، وجملة فعل الشرط (جاء رمضان)، وجُمَل جواب الشرط: (فُتّحت أبواب الجنة، وغُلّقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطين)، وتتمثل هذه الجمل في ثلاثة أحداث ضخمة، اختص الله بها هذا الشهر المبارك؛ تيسيراً على المؤمنين عند أدائهم لصيامهم، وصلاتهم، وفيما يأتي استعراض لهذه الأحداث:

الحدث الأوّل: (فُتّحت أبواب الجنة)، ونلحظ التعبير (فتّحت)، ولم يقل: (فُتِحت)؛ للدلالة على تأكيد فتح الأبواب، بحيث لا يبقى منها باب موصَداً، ففي فتح أبواب الجنّة انسياب لنفحاتها الشذيّة في رمضان، والتي تتجلى في نفس الصائم، على شكل مشاعر إيمانية، وتحليقات روحية، لا يعرف لذّتها إلا من عايشها، ممّن صام رمضان إيماناً واحتساباً.

1. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان.
2. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.
3. سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، وصححه الألباني.

وفي هذه البشرى -بتفتيح أبواب الجنة، التي عرضها السماوات والأرض، والتي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر- ترغيب للمؤمنين؛ لكي يكثروا من الطاعات؛ من صلاةٍ وصيامٍ وصدقةٍ وذكر، فهذه الجنّة تفتّح أبوابها الثمانية، بما فيها الباب الخاص بالصائمين وحدهم، والذي يسمّى باب الريّان، كما جاء في الحديث الصحيح، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: (**فِي الجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، لاَ يَدْخُلُهُ إِلاَّ الصَّائِمُونَ**).[1]

وورد الحديث برواية أخرى، فيها مزيد من التفصيل والتأكيد على حصريّة دخول الجنّة من باب الريّان للصائمين فقط، فعن سهل، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا، يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**).[2]

الحدث الثاني: (وغُلّقت أبواب النار) ونلحظ في التعبير (غُلّقت) كذلك دلالة على تأكيد غلق أبواب النار، بحيث لا يبقى منها باب مفتوح، وكأنّ هذا الشهر قد اختُصّ بالمغفرة، فأوصدت لأجله أبواب جهنّم. وفي ذلك ترغيب كبير للمؤمنين، ولِمَن خشي عذاب النار، أن يبتعد عن المعاصي، ويعبد الله حق العبادة، في شهرٍ توصَدُ به أبوابُ النار السبعة، التي قال عنها سبحانه في كتابه الكريم: {**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**}(الحجر: 43 - 44)

وفي تفتيح أبواب الجنّة؛ وتغليق أبواب النار، إيحاء لافت للمؤمنين بتفوّق احتمالات الترغيب على احتمالات الترهيب في هذا الشهر الكريم، وبِتغلّب أمنيات الرجاء في المغفرة، على مشاعر الخوف من العذاب لدى المؤمنين.

1. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة.
2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين.

الحدث الثالث: (**وصُفّدت الشياطين**)، أي: شدَّت، وسُلسلتْ، وقُيّدت بالأصفاد؛ وهي الأغلال، ومهما كان المراد بالتصفيد؛ إما على الحقيقة ليمتنع الشياطين من إيذاء المؤمنين، وإما على المجاز، ليشير إلى قلة قدرة الشياطين، أو عجزهم، عن الإغواء، وتزيين الشهوات، فالحديث يدلّ على تيسير العمل الصالح -في رمضان- لمن طلبه؛ وترك المعاصي لمن أراد أن يجتنبها.

ثمّ إنّنا نلحظ أثر تصفيد الشياطين في رمضان، إذ يَقومُ النّاسُ بِأعمالٍ وطاعاتٍ كانوا يرونها عسيرة في غيره، كَمَن كان يستثقلُ صيام يوم واحد، فإذا به يجد نفسه، يصوم ثلاثين يوماً متواصلاً، ويقوم لياليها، ويصبر على ذلك، ويجد لذّتَه، وهذا ما أشار إليه القرطبي، رحمه الله، بقوله: (... المقصود تقليل الشرور فيه [في رمضان]، وهذا أمر محسوس؛ فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية؛ لأن لذلك أسباباً غير الشياطين، كالنفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، والشياطين الإنسية).(*)

ولا يقتصر -هنا- مفهوم الشياطين على الجن وحدَهم؛ فهنالك شياطين الإنس أيضاً، كما قال تعالى: {**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**} (الناس: 5 - 6)، وهؤلاء يقلُّ تأثيرهم في رمضان، ويشعرون بالحرج إذا ما أكلوا أو شربوا في نهاره، فيتوارون بسبب معاصيهم عن الناس.

تغيير ينبغي أنْ يُقابلَه تغيير:

ولعلّ التأمّل في هذه التغييرات والإجراءات الربّانية المتخذة، يدفع المسلمَ إلى استشعار رهبة هذا الشهر الكريم، وفضله، وكرامته عند الله، بما يلقيه ذلك في حِسِّهِ من كرمِ هذا الضّيف، وهيبةِ مجيئِه، فيدرك أنَّ الأمرَ جَلل، وأنَّ القادمَ ذو شأن، فيعقد العزم، ويَعدّ العدّة

* لاشين، موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، 2002 م - 1423هـ 4/ 485.

ليكون من الظافرين فيه بالأجر العظيم؛ ومن المقبلين فيه على موسمِ عرضٍ سَنويٍّ سَخيٍّ للمغفرة؛ حيث تتطاول فيه الحسنات، وتُغتَفر السيئات، وتكون التوبة فيه أرجى قبولاً من أي وقت في سواه، كما أنَّ الطاعة فيه أيسر أداء من أي وقت في غيره.

كما ينبغي للمسلم -أمام عِظَم هذه التغييرات التي ذكرها الحديث الشريف- أن يغير في نفسه، وينتهز هذه الفرصة العظيمة، الدافعة إلى عمل الخيرات؛ لأنّ المُزيِّن لفعل المعاصي، والمُوسوسَ بترك الطاعات مُقيّدٌ بالأغلال؛ ولا يملك المجالَ نفسَه، ولا الحريةَ ذاتَها للإضلال، كما في بقيّة الشهور والأزمان.

وليس لعاص أو مقصِّرٍ عذر بعد ذلك، ومن حرم اقتناصَ هذا العرض الرمضانيّ فقد حُرِم؛ لما رواهُ الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يُبشِّر أصحابه: (**قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا، فَقَدْ حُرِمَ**).(*)

* مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أَبِي هرَيْرَةَ، رضي الله عَنْهُ، وصححه الأرنؤوط.

من أسرار الصوم وأخلاق الصائم

كايد حسن عايد جلايطه / مساعد مفتي محافظة أريحا والأغوار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ فإن الصيام من أهم الفرائض التي تعمل على تزكية النفوس، وتنقية القلوب، وحب الخير، والإقبال عليه باستمرار، والصوم يشتمل على حكم جليلة، ومنافع عظيمة، كما أن له بالغ الأثر في الفرد والجماعة، فما هو الصيام، وما حقيقته وأسراره؟

الصيام شرعاً: الإمساك عن شهوتيْ البطن والفرْج، وما يقوم مقامهما؛ مُخالفةً للهوى في طاعة المولى في أجزاء النهار جميعه، بنيةٍ قبلَ الفجر أو معه، فيما عدا زمن الحيض والنفاس، وأيام الأعياد.(*)

أجر الصيام: فرض الله تعالى الصيام على العباد، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}(البقرة: 183)، ثم رتب على هذه الفريضة العظيمة أجوراً لا تعد ولا تحصى، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا

* شرح الخرشي على مختصر خليل، 2/ 233، 234. ط2، 1317هـ المطبعة الكبرى ببولاق، مصر.

بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ)[1] ولعظيم هذا الأجر نسب الله تعالى أجر الصيام لذاته، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلا يَرْفُثْ، وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)[2]. قال ابن عثيمين: (إن الله قال في الصوم: (وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) فأضافَ الجزاءَ إلى نفسه الكريمةِ؛ لأنَّ الأعمالَ الصالحةَ يضاعفُ أجرها بالْعَدد، الحسنةُ بعَشْرِ أمثالها إلى سَبْعِمائة ضعفٍ، إلى أضعاف كثيرةٍ، أمَّا الصَّوم، فإنَّ اللهَ أضافَ الجزاءَ عليه إلى نفسه من غير اعتبَار عَددٍ، وهُوَ سبحانه أكرَمُ الأكرمين، وأجوَدُ الأجودين، والعطيَّةُ بقدر مُعْطيها. فيكُونُ أجرُ الصائم عظيماً كثيراً بِلاَ حساب. والصيامُ صبْرٌ على طاعةِ الله، وصبرٌ عن مَحارِم الله، وصَبْرٌ على أقْدَارِ الله المؤلمة؛ مِنَ الجُوعِ، والعَطَشِ، وضعفِ البَدَنِ والنَّفْسِ، فَقَدِ اجْتمعتْ فيه أنْواعُ الصبر الثلاثةُ، وَتحقَّقَ أن يكون الصائمُ من الصابِرين. وقَدْ قَالَ الله تَعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (الزمر: 10).[3]

فالصوم يحتوي على فوائد تنفع المؤمن في دنياه وآخرته، ففيه ترتقي النفس والروح،

1. سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل شهر رمضان، وصححه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم.
3. العثيمين، محمد صالح، مجالس شهر رمضان، ص27، ط1، 1416هـ - 1996م، المطبعة السلفية، الرياض.

وتكف الجوارح عن الأذى، وتكسر الشهوة، وتخمد نيران الحقد، ويتصالح الناس، ويشعر القوي بالضعيف، والغني بالفقير، فالصيام فرصة للتغيير، وإعادة التفكير في كيفية البناء، وما أروع ما قاله ابن الهمام: (وهذا ثالث أركان الإسلام، شرعه سبحانه لفوائد، أعظمها كونه موجباً لشيئين: أحدهما ناشئ عن الآخر؛ سكون النفس الأمارة، وكسر شهوتها في الفضول، المتعلقة بالجوارح جميعها، من العين، واللسان، والأذن، والفرج، فإن به تضعف حركتها في محسوساتها، ولذا قيل: إذا جاعت النفس، شبعت الأعضاء جميعها، وإذا شبعت جاعت كلها، والناشئ عن هذا صفاء القلب عن الكدر، فإن الموجب لكدورته فضول اللسان والعين، وباقيهما، وبصفائه تناط المصالح والدرجات، ومنها كونه موجباً للرحمة والعطف على المساكين، فإنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات، ذكر من هذا حاله في عموم الساعات، فتسارع إليه الرقة عليه. والرحمة حقيقتها في حق الإنسان نوع ألم باطن، فيسارع لدفعه عند الإحسان إليه، فينال بذلك ما عند الله من حسن الجزاء، ومنها موافقة الفقراء، بتحمل ما يتحملون أحياناً، وفي ذلك رفع حاله عند الله تعالى).(*)

من أخلاق الصائمين:

1. الصبر: يُعوّد رمضان النفوس على الصبر، ويربيها عليه، فمن خلال تحمل مشاق الصيام بالامتناع عن الشهوات، يتعلم المسلم الصبر في كل شيء، فلا يغتاب، ولا يذكر أحد بسوء، ويحفظ لسانه عن ذكر عورات الناس، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (وَإِذَا كَانَ يَوْمُ

* ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد، شرح فتح القدير، على الهداية شرح بداية المبتدئ، 2/306، ط1، 1424هـ ـ 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلا يَرْفُثْ، وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ)[1]. يقول الغزالي: (...ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه، صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)[2]، وقد قال الله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}(الزمر: 10). والصوم نصف الصبر، فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب).[3]

2. الأمانة: خلق عظيم تكشف معادن الناس، والمسلم يجب أن يتحلى بهذا الخلق، في كل ما يحيط بحياته، قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً}(الأحزاب: 72)، والأمانة في أداء الفرائض بإخلاص، لا رياء، ولا سمعة، وحفظ اللسان، وغض البصر، وكف الأذى، والصدق في التعامل، فهي عامة، تشمل الدين جميعه بأصوله وفروعه، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ).[4]

3. فعل الخير، والحث عليه باستمرار، والتزود منه في شهر رمضان، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(الحج: 77)، فَمِنْ فعل الخير، تفقدُّ الفقراء وذوي الحاجة، وكل باب فيه أمر بالصلة والتراحم من الخير، قال صلى الله عليه وسلم: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ، وَلا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ،

1. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم.
2. سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الصوم، وصححه الألباني.
3. الغزالي، أبو إسماعيل محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، الغزالي، 1/ 231، مطبعة ومكتبة كرياطة فوترا، سماراغ - أندونيسيا.
4. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: {وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} (الحج:30).

وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً، مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1]، فأبواب الخير مشرعة لمن أراد السبق إليها، قال تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ}(البقرة: 148).

ومن أعظم الخير العطاء، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قَالَ: (ضَرَبَ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ، عَلَيْهِمَا جبتان مِنْ حَدِيدٍ، قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا، فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، انْبَسَطَتْ عَنْهُ. حَتَّى تغشى أَنَامِلَهُ، وَتَعْفُو أَثَرَهُ، وَجَعَلَ البَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ، قَلَصَتْ، وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ بِمكانها، قَالَ أبو هريرة: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ، يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ هكذا فِي جَيْبِهِ، فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا، وَلاَ تَتَوَسَّعُ)[2]، قال ابن القيم: (ولما كان البخيل محبوساً عن الإحسان، ممنوعاً عن البر والخير، كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهمّ والغمّ والحزن، لا يكاد تُقضى له حاجة، ولا يُعان على مطلوب، فهو كرجل عليه جبة من حديد، قد جمعت يداه إلى عنقه، بحيث لا يتمكن من إخراجها، ولا حركتها، وكلما أراد إخراجها، أو توسيع تلك الجبة، لزمت كل حلقة موضعها، وهكذا البخيل، كلما أراد أن يتصدق، منعه بخله، فبقي قلبه في سجنه كما هو، والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة، فكلما تصدق اتسع، وانفسح، وانشرح وقوي فرحه، وعظم سروره، ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها، لكان العبد حقيقاً بالاستكثار

1. صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.
2. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب جيب القميص من عند الصدر وغيره.

منها، والمبادرة إليها، وقد قال تعالى: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(الحشر: 9)،[1]

4. النصح للمسلمين، والسعي للصلح بين المتخاصمين، قال تعالى: {لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}(النساء: 114)، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[2]، قال ابن رجب: (وأما النصيحة للمسلمين: فأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، وإن ضره ذلك في دنياه، كرخص أسعارهم، وإن كان في ذلك فوات ربح ما يبيع في تجارته، وكذلك جميع ما يضرهم عامة، ويحب ما يصلحهم، وألفتهم ودوام النعم عليهم، ونصرهم على عدوهم، ودفع كل أذى ومكروه عنهم).[3]

5. التعاون على البر والتقوى، والتعاون يشمل الحياة الإنسانية التي ندب الله الناس إليها للتعاون فيما بينهم، فيما فيه صلاح أحوالهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.(المائدة: 2)

اللهم تقبل منا الصلاة والصيام، وسائر الأعمال، وصلِّ وسلم وبارك على خاتم الرسل محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

1. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، ص74، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.
3. ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين، جامع العلوم والحكم، 1 /232، ط2، 1424هـ ـ 2002م، مطبعة دار السلام. القاهرة.

في ظلال آيات شهر رمضان المبارك

محمد ذياب أبو صالح / عضو الهيئة الإسلامية العليا

قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(البقرة: 185)، لقد خصَّ الله سبحانه وتعالى هذا الشهر الفضيل بأعظم هدية، وأجزل مثوبة، وأسمى منحة لبني الإسلام، ألا وهي نزول القرآن الكريم في هذا الشهر الفضيل.

وكلمة شهر هي رؤية شهر، أي رؤية الهلال، كما قال ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ، فَاقْدُرُوا لَهُ).[1]

وفي رواية عن أبي هريرة، رضي الله عنه: (فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاَثِينَ).[2]

إن من أعظم الكرامات التي هيئها الله لعباده المؤمنين، نزول القرآن الكريم في هذا الشهر الفضيل على رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، وعلى أغلب الروايات أن نزول القرآن

1. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان ومن رأى كله واسعاً.

2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا).

العظيم كان في ليلة القدر، ففي رواية عكرمة عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: (نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلى هذه السماء الدنيا جملة واحدة، وكان الله يحدث لنبيه ما يشاء، ولا يجيء المشركون بمثل يخاصمون به إلا جاءهم الله بجوابه، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا* وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}(الفرقان: 32 - 33)

وقوله تعالى: {هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (البقرة: 185)، إن في هذه الآية من عظيم التبجيل، ورفعة المدح لهذا الكتاب الرباني، الذي فيه خبر ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفيه من الإعجاز والأحكام ما لم تستطع البشرية محاكاتها، فيه الهداية، وخيرا الدنيا والآخرة، للذين يؤمنون به، ويبتغون هداه، ويقتفون أثره، فهو دستور الله المنظم للحياة البشرية، فيه الدلائل، والحجج، والبينات الواضحة الجلية، لمن فهمها وتدبرها، لأكبر دليل على ما جاء به من الهدى المنفي للضلال، والمخالف للغي، والمفرق بين الحق والباطل، والظلمات والنور، والحلال والحرام، والمبين الهداية إلى الجنة، والمبعد عن النار.

لعلنا في هذا السياق القرآني الكريم، نستذكر كرامات هذا الشهر الفضيل، الذي تجلت أعظم الكرامات فيه، بإنزال أعظم كتاب من رب العالمين على النبي الأمين، صلى الله عليه وسلم، وما فيه من أحكام وعلوم، وهنا لا بدَّ من تطبيق ما أمر الله به عباده، ألا وهي عبادة الصيام، حيث الامتناع عن الطعام والشراب والجماع ودواعيه، وما نهى عنه رب العالمين من فجر كل يوم إلى مساء ذلك اليوم، لتنغرس الطاعة في نفس المؤمن؛ لأن الصوم جنة، كما قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ؛ مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ

لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)[1].

فمن حضر استهلال هذا الشهر الفضيل، وكان مقيماً في البلد حين دخول هذا الشهر، وكان صحيح البدن، فعليه بالصوم، وكلمة {فَلْيَصُمْهُ} تأكيد على الدخول في العبادة، إلا لذوي الأعذار الوارد ذكرها في الآيات السابقة، ومعلوم أن طبيعة اليسر، والتسهيل على المسلمين من صفات هذا الدين الحنيف؛ فالرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وقد سهل في مناسبات عدة على المسلمين، آخذاً طريق الهداية واليسر، مجنباً أمته المشقة والضر، منسجماً مع قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}. (البقرة: 185)

أي رخص لكم الفطر في حال المرض، والسفر، والتيسير، والتخيير في هذا الشأن، اتّباعاً لسنة نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، فعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: (غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِسِتَّ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، فَمِنَّا مَنْ صَامَ، وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ)[2]

وهذا يدل على أن الأمر في ذلك على التخيير، وليس حتماً.

وسئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن الصوم في السفر، فقال: (عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللَّهِ، الَّذِي رَخَّصَ لَكُمْ).[3]

وعن أبي قتادة عن الأعرابي، الذي سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: (إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ

1. صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم.
2. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية ...
3. التخريج نفسه.

أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ).[1]

إذن اليسر والتخفيف على أمة الإسلام، من الصفات البارزة في هذه العقيدة السمحة.

أما قوله تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ}؛ أي أن الله تعالى أمركم بالقضاء في حال الإفطار، وإكمال الشهر؛ وذلك لإكمال عدة شهركم؛ أي عدد أيام رمضان من ذلك العام.

ففي نهاية الشهر الفضيل، أمرنا الله سبحانه وتعالى الجهر بالتكبير، والتسبيح، والحمد على ما وفقنا إليه من طاعاته، وما أعاننا عليه نحن المسلمين من عبادات، وما ألهمنا إياه من كرامات، فوفقنا لعبادته، واتّباع سنة نبيه الكريم، تماشياً مع قوله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا}(البقرة: 200)، ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبة.

قال ابن عباس: (مَا كُنَّا نَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، إِلاَّ بِالتَّكْبِيرِ)[2]، ولهذا أخذ كثير من العلماء بمشروعية التكبير في عيد الفطر من هذه الآية.

وقوله تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} فقد ختمت هذه الآية بـ {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}؛ أي إذا قمتم بطاعته، واتّباع أوامره، واجتناب نواهيه، وأداء ركنكم، والتمسك بعقيدتكم، والالتزام بفرائضه، واتباع سنة نبيه الكريم، صلى الله عليه وسلم، فإن الله سبحانه وتعالى يثيبكم بالجزاء العظيم، والفضل الجسيم، فكونوا له من الشاكرين، يكنْ لكم من الغافرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1. مسند أحمد، مسند المكيين، حديث أعرابي، وحسنه الأرنؤوط.
2. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة.

الأمومة في رمضان

إباء أبو طه

مع حلول شهر رمضان، تتذمر بعض الأمهات لعدم قدرتهن على ممارسة طقوسهن الرمضانية كعامة الناس، بأداء صلاة التراويح، وقراءة القرآن، وقيام الليل، ليحبسهن العذر عن تذوق فضل هذا الشهر، فيصبن بالاستياء حيال انشغالهن بأطفالهن بالرعاية والاهتمام، عدا عن قضاء معظم أوقاتهن بطهو الطعام، وإدارة أمور المنزل، فتغدو أيام رمضان عبئًا ثقيلاً، وهاجسًا يقلق الأمهات اللواتي ينتظرنه بشغف؛ بحثًا عن فرصة التجديد الروحي، وتوثيق العهد والعلاقة مع الله.

للأم العزيزة:

1. لا أدري لمَ تصرُّ الأمهات على حصر العبادة في رمضان بأداء الشعائر الدينية، في الوقت الذي قدم فيه الإسلام صوراً واسعة وجميلة لمفهوم العبادة، ألم يقل الله عز وجل: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ}(الأنعام: 162)، فالعبادة في حياة المسلم لا تقتصر على الصلاة وقراءة القرآن، أليست رعاية الأبناء عبادة؟! أليس الحفاظ على الود في علاقة الأم بأبنائها عبادة؟! أليس طهو الطعام الجيد للأسرة يندرج في مفهوم العبادة أيضًا؟!

إن كان المسلم يثاب بأداء الشعائر الدينية، فكل ما ذكر سابقًا بخصوص الأبناء يندرج كذلك تحت مظلة العبادة، التي يكتب الله للأم الأجر على فعلها، وحتى تضمن أن تُثاب على دور

الأمومة الذي تقوم به في ألـ 24 ساعة، لا بدَّ لها من الحفاظ على دوام (تجديد النية)، وأن تسر في ذاتها بأن كل عمل ستقوم به، تدخره لله ولأجله.

2. من الضروري أن تبدأ الأم بتهيئة بيتها وأطفالها لأجواء رمضان، كأن تنهي واجباتها الاجتماعية، والتزاماتها المتعلقة بالأمومة قبل دخول الشهر، فتخطط مع أطفالها كيفية استغلال أوقاتهم قدر المستطاع؛ لاغتنام الأجر والثواب. فتتفق معهم على جدول رمضاني (لطيف) يتضمن العبادات والامتيازات المترتبة على فعلها. فتهيئة المنزل يبعث السكينة في نفوس أفراده، ويشحنهم بالهمة والعزم، عدا عن كونها خطوة تساعد الأم على الاهتمام بالعبادات من باب مشاركة صغارها، وأن تكون قدوة لهم.

3. مهما ادعت الأمهات بافتقارهن إلى امتلاك الوقت الكافي في شهر رمضان، إلا أنه مع التنظيم الجيد، ستحظى الأم بأوقات جميلة، تمارس فيها العبادة التي ترغب فيها، وهنا أود الإشارة إلى فكرة (الأوقات الميتة) التي تمر على الأمهات دون استغلالها على الوجه الصحيح، كأن تذكر الله بالتسبيح والتحميد وهي تنظف المنزل، أو تستمع وهي تطهو، أو تكوي الملابس للمذياع أو اليوتيوب حول تفسير آية أو موعظة ما، في محاولة للاستفادة من الوقت في رمضان بأقصى درجة ممكنة، وفي سعي دؤوب للأخذ بالأسباب كافة.

4. رمضان فرصة ذهبية لتعزيز علاقة الأم بأطفالها، من خلال التشارك بأداء العبادات، وتعريف الأطفال بالقيمة الدينية لهذا الشهر، ليصبح للعبادة معنى مختلف، وليست مجرد طقوس، بل معنى تربوي، ترسخه الأم في أنفس صغارها، وهنا يمكن للأم دعوة أبنائها للصلاة الجماعية، أو قراءة القرآن، أو تفطير أحد الصائمين، أو إنفاق صدقة، فيخفف هذا السلوك الجماعي عبء العبادة بشكلها (الفردي) على الأم، وتصبح ذات مفهوم قيمي يبعث الود والسكينة في علاقة الأم بأطفالها.

من فقه العبادات

الزكاة في الإسلام

د. شفيق عياش / عضو هيئة تحرير مجلة الإسراء

تعريف الزكاة لغة واصطلاحاً:

الزكاة في اللغة، النماء والطهر والصلاح، وسميت كذلك لأنها سبب في تنمية المال وتطهيره وإصلاحه، ووقايته من الآفات.[1]

قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(التوبة: 103)

أما في الاصطلاح الشرعي، فهي اسم لأخذ شيء مخصوص، من مال مخصوص، على أوصاف مخصوصة، لطائفة مخصوصة،[2] لوجه الله تعالى.

حكم الزكاة وأدلة مشروعيتها:

الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، فرضت في السنة الثانية للهجرة، وهي فرض عين على كل مسلم مالك للنصاب، ويشترط في النصاب أن يكون زائداً عن الحاجات الضرورية؛ كالمأكل

1. المصباح المنير، 1 /272.
2. المجموع، 5 /291.

والملبس والمسكن، وأن يحول عليه الحول.[1]

ولا يشترط لوجوب إخراج الزكاة البلوغ والعقل عند جمهور الفقهاء؛ لأن الزكاة عبادة مالية، فتجب في مال الصبي والمجنون، ويقوم وليهما بإخراجها عنهما.

كما أجمع الفقهاء على أن الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، فمن أنكرها، فهو كافر مرتد عن الإسلام، ومن منعها تهاوناً فهو عاص.

ولقد تضافرت الأدلة الشرعية على وجوبها، من القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والإجماع.

فمن القرآن الكريم، قوله تعالى: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}(البقرة: 43)، وآيات أخرى كثيرة.

ومن السنة الشريفة، قوله صلى الله عليه وسلم: (بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ).[2]

كما أن الإجماع انعقد في العصور والأزمان جميعها على فرضيتها.

فضل الزكاة، وحكمة مشروعيتها:

للزكاة فضل عظيم على الإنسان، ودلالة على عمق إيمانه، وصفاء نفسه من أمراض البخل والشح، ودليل على كمال الإنسانية، والحب للآخرين.

وقد أمر سبحانه وتعالى المسلمين بدفعها في اثنين وثلاثين موضعاً في القرآن الكريم، وأكثر الآيات التي تدعو المسلمين إلى إقامة الصلاة، وردت مقرونة بدعوتهم إلى إيتاء الزكاة.

وللزكاة حِكمٌ متعددة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

1. سمي الحول حولاً لأنه حال، أي ذهب، وأتى غيره، مغني المحتاج، 1 /279.
2. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس).

أ. الزكاة تُعود المؤمن البذل، والعطاء، والسخاء، وتقيه من داء الشح والبخل، ولها أثر عظيم في تهذيب الروح.

ب. مساعدة الفقراء والمساكين، ومعونة ذوي الحاجات، وذلك مما يرسخ دعائم المحبة والمودة بين الفقراء والأغنياء، وينزع من القلوب الحقد والحسد.

ج. تقليل الجرائم بزوال أسبابها من الفقر والفاقة، وتحسين حالة الفقراء الصحية، وسد حاجة المعوزين الذين لا يجدون ما ينفقون.

د. الزكاة فريضة يتقرب بها إلى الله سبحانه، فينال رضاه ورحمته، قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}(الأعراف: 156)

الأموال التي تجب فيها الزكاة:

1. النقود بأنواعها جميعها: أ. ذهب. ب. فضة. ج. ورق نقدي.

ويشترط لوجوب الزكاة فيها أن يحول عليها الحول، وأن تبلغ النصاب، ومقداره ما يعادل 85 غم من الذهب، ويخرج المزكي 2.5 % مما يملكه من نقود.

2. عروض التجارة: وتشمل البضائع المعدة للربح لدى التجار والبائعين على اختلاف أصنافها، إذا بلغت قيمتها نصاباً، وحال عليها الحول، فيدفع قيمة ما في محله من بضائع، بسعر السوق في ذلك الوقت، ولا يدخل في عروض التجارة قيمة الأثاث والأدوات المستخدمة في تجارته، ويضيف ذلك إلى ما معه من نقود، ويخرج عن مجموع ذلك كله 2.5 %.

3. الثروة الحيوانية: وتشمل الإبل والبقر والغنم، إذا حال عليها الحول، وبلغت النصاب

بشرط أن تكون سائمة يعتمد في إطعامها على الرعي معظم أيام السنة.

4. الزروع والثمار: تجب الزكاة في الزروع والثمار، ودليل الفرضية ثابت بقوله تعالى: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}(الأنعام: 141)، شريطة أن تبلغ النصاب، ومقداره خمسة أوسق، ودليل ذلك من السنة، قوله صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ)[1]، والخمسة أوسق 653كغم، ويتوقف القدر الواجب في زكاة الزروع، والثمار على الطريقة التي تسقى بها، فإن كانت تسقى بماء المطر، ففي ذلك العشر، أما إذا سقيت بكلفة فيخرج نصف العشر.

عقاب مانع الزكاة:

قد عرفنا ما للزكاة من أثر حميد في المجتمع، وثواب عظيم في أدائها، فلا عجب أن يرد الوعيد الشديد بالعذاب الأليم لمانعها.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}. (التوبة: 34)

وللحاكم المسلم إجبار مانع الزكاة على إخراجها، وهذا ما حدث في عهد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، الذي قاتل مانعي الزكاة بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم. حيث قال رضي الله عنه: (وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا[2]، كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا).[3]

الفرق بين الزكاة وصدقة التطوع:

تتفق فريضة الزكاة مع صدقة التطوع في أن كلاً منهما عبادة مالية، حثت عليها الشريعة

1. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة.
2. صغار الماعز.
3. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة.

الإسلامية، ولكنهما يختلفان من وجوه عدة، منها:

1. الزكاة لا تجب إلا في المال بالغ النصاب، وحال عليه حولٌ كاملٌ، باستثناء زكاة الزروع والثمار، أما صدقة التطوع، فلا يشترط فيها ذلك، إذ يمكن للمتصدق أن يخرجها في الحول أكثر من مرة، محتسباً الأجر عند الله تعالى، راجياً القبول.

2. حكم الزكاة فرض على كل مسلم، يثاب فاعلها، ويعاقب تاركها، أما الصدقة، فحكمها الندب، يثاب فاعلها، ولا يعاقب تاركها.

3. المقدار الذي يخرجه المزكي محدد في الزكاة، يختلف باختلاف نوع المال، أما الصدقة، فليس فيها مقدار محدد.

4. الزكاة تدفع لثمانية مصارف حددها القرآن الكريم، ولا يجوز للمزكي أن يتعداها، أما الصدقة، فلا يشترط فيها ذلك.

زاوية الفتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. حكم الصيام في الدول التي يطول فيها النهار

السؤال: ما حكم الصيام في بلد مثل بلجيكا، التي يستمر النهار فيها في بعض الأحيان من الثالثة فجراً إلى العاشرة مساءً؟ فهل يجوز الافطار في هذه الحالة، والقضاء بعد ذلك؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وبما أن الله تبارك وتعالى قال: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} (البقرة:187)، فإن على المكلفين أن يصوموا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس حيث هم، ما داموا يميزون الليل من النهار، سواء قصر نهارهم أم طال، أما من عجز عن الصوم لطول النهار، فله أن يفطر، على أن يقضي ما أفطره بعد ذلك.

2. حكم الإفطار في رمضان بسبب العمل الشاق في البناء

السؤال: رجل متزوج، ويعمل في البناء، ويتعب كثيراً من الصوم، ولا يملك القوت اليومي له ولزوجته، فهل يحق له أن يفطر؟

الجواب: الأعمال الشاقة ليست مبرراً للإفطار، فهنالك الملايين من المسلمين يعملون في الأعمال الشاقة، من بناء وتجارة وغيرهما، ويصومون، ويحتسبون صيامهم لله عز وجل، ولا تعد الأعمال الشاقة ذريعة للإفطار إلا بشروط، منها:

1. إذا كان الصائم لا يملك قوت شهر رمضان، وإذا لم يعمل لم يجد قوت يومه.
2. إذا كان الصائم لا يمكنه العمل إلا وهو مفطر.
3. إذا كانت صحته لا تساعده على الصيام، نظراً للإرهاق الذي يلحقه من الصيام.

فإذا وجدت هذه الشروط فعليه أن يصوم، وحين يشق عليه ذلك يفطر ويقضي، والله تعالى المعافي.

3. نزف الأنف والقيء في رمضان

السؤال: هل نَزْف الأنف يفطر إذا كانت كمية الدم كبيرة بسبب حرارة الجو؟ وهل القيء يفطر أم لا؟

الجواب: نزف الأنف لا يفطر بغض النظر عن كمية الدم النازف، أما بالنسبة إلى القيء فإذا كان خارج عن إرادة الشخص، فإنه لا يفطر، ويبقى الصيام صحيحاً، أما القيء عمداً، فإنه يفطر، ويجب على الصائم قضاء اليوم الذي أفطره، لقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم:

(مَنْ ذَرَعَهُ القَيْءُ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ).(*)

4. حكم الأكل والشرب خطأً بعد طلوع الفجر

السؤال: شربنا الماء بعد أذان الفجر ظانين أن موعده لم يحن، بسبب حدوث خطأ في وقت الساعة على الهاتف المحمول، فما حكم صيامنا؟

الجواب: الأكل أو الشرب بعد بزوغ الفجر عمداً يفسد الصوم، ولو كان الآكل أو الشارب مخطئاً بالوقت، ويجب على من فعل ذلك أن يُمسك بقية يومه إن كان في رمضان؛ مراعاة لحرمة الشهر، وعليه أن يقضي بعد انقضاء رمضان يوماً مكانه.

5. مقدار فدية الصيام للمريض

السؤال: ما مقدار فدية الصيام التي يجب أن تخرجها والدتي المريضة؟ حيث إنها منعت من الصيام هذا العام بسبب سوء حالتها الصحية.

الجواب: من أفطر لعذر المرض وجب عليه القضاء إن كان يرجى برؤه من المرض، ولو كان ذلك بتأخير القضاء إلى حين تمكنه من ذلك، وذلك لقوله تعالى: {وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}(البقرة: 185)، إلا إذا كان المرض مزمنًا لا يرجى شفاؤه، فتجب حنيئذ الفدية، لقوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}(البقرة: 184)، والفدية إطعام مسكين وجبتين من أوسط طعام مخرجها، عن كل يوم يفطر فيه، على

* سنن الترمذي، كِتَاب الصَّوْمِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مَا جَاءَ فِيمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا، وصححه الألباني.

أن لا تقل قيمتها عن قيمة صدقة الفطر في حدها الأدنى.

وعليه؛ فإن لم تستطع أمك قضاء الأيام التي أفطرتها لا حاضرًا ولا مستقبلًا، وعجزت عن ذلك حقيقة، فعليها أن تخرج فدية الصوم عن كل يوم تفطره، وإن لم تستطع إخراجها حاضرًا لضيق الحال، فعليها الانتظار حتى يوسع الله تعالى عليها، وتتمكن من ذلك.

6. حكم نزول المني في نهار رمضان

السؤال: هل نزول المني عند تقبيل الزوجة يفسد الصوم؟

الجواب: الصوم يبطل بخروج المني من الرجل أو المرأة بلذة حاصلة من المداعبة بينهما، أو التقبيل، أو غيره، ويجب على كل من يحصل معه ذلك، الإمساك بقية يومه، وقضاء هذا اليوم الذي فسد فيه صومه، والتوبة والاستغفار.

وعلى الصائم الذي لا يضمن ضبط نفسه أن يكف عن كل ما يؤدي به إلى الوقوع في المحظور؛ سواء أكان ذلك من خلال تقبيل الزوجة، أم مداعبتها، أم غير ذلك، أما الذي يضبط نفسه فيجوز له ذلك؛ لأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، كان يقبل ويباشر نساءه وهو صائم، فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (**كَانَ النَّبِيُّ، صلى الله عليه وسلم، يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ**).(*)

7. حكم الإفطار لمريض السكري وضغط الدم

السؤال: هل يجوز الإفطار لمصاب بالسكري وضغط الدم، بحيث لا يستطيع الصيام بسبب الصداع الشديد والدوخة، نتيجة الارتفاع العالي لضغط الدم؟

* صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب المباشرة للصائم.

الجواب: شُرع للمريض الإفطار في شهر رمضان إذا كان الصوم يضرّه، أو يعرضه إلى حرج بالغ، ومشقة غير محتملة، أو كان يحتاج إلى تناول دواء في النهار، أو غذاء، بسبب مرضه، والله تعالى يقول: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}(البقرة: 184)، وعلى المريض الذي يفطر في هذه الحالة أن يقضي الأيام التي أفطرها إن كان يرجى برؤه من المرض، أما إذا كان المرض مزمنًا لا يرجى شفاؤه، فتجب عليه حينئذ الفدية، وهي إطعام مسكين وجبتين من أوسط طعام العائلة، يخرجها عن كل يوم يفطر فيه، لقوله تعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة: 184)، على أن لا تقل قيمة الفدية عن قيمة صدقة الفطر في حدها الأدنى.

وعليه؛ فيجوز للمريض الإفطار في رمضان إذا كان الصوم يضرّه، أو يشقّ عليه مشقة غير محتملة، وإذا لم يستطع قضاء الأيام التي أفطرها لا حاضرًا ولا مستقبلاً، وعجز عن ذلك حقيقة، فعليه أن يخرج فدية الصوم عن كل يوم يفطره، وإن لم يستطع إخراجها حاضرًا لضيق الحال، فيمكنه الانتظار حتى يوسع الله تعالى عليه، ويتمكن من ذلك.

8. حكم استبدال كفارة الجماع في رمضان من الصيام إلى الإطعام

السؤال: عليّ كفارة جماع في نهار رمضان، ولا أستطيع صيام شهرين متتابعين، فهل يجوز لي استبدال الصيام بإطعام ستين مسكيناً؟

الجواب: الأصل أن استبدال الصيام في كفارة الجماع في رمضان بالإطعام يكون حال العجز عن الصيام، كأن يكون المكلف مصاباً بمرض مزمن يمنعه من الصوم، أو أن يتسبب الصيام

في سوء حالته الصحية، وزيادة المرض لديه، وعليه؛ فإن عجز المكلف عجزاً دائماً عن أداء الكفارة صياماً، فيجوز له شرعاً أن يستبدل الصيام بإطعام ستين مسكيناً، لقوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}(الحج: 78)، وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: (أَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَجُلٌ، فَقَالَ: هَلَكْتُ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: فَأَعْتِقْ رَقَبَةً، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي، قَالَ: فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا، قَالَ: لا أَجِدُ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ؟ قَالَ: هَا أَنَا ذَا، قَالَ: تَصَدَّقْ بِهَذَا، قَالَ: عَلَى أَحْوَجَ مِنَّا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، قَالَ: فَأَنْتُمْ إِذًا)[1]، وقال الإمام النووي، رحمه الله: (فإن عجز عن صوم بهرم أو مرض، قال الأكثرون: لا يرجى زواله، أو لحقه بالصوم مشقة شديدة، أو خاف زيادة مرض، كفر بإطعام ستين مسكيناً أو فقيراً)[2]

والله تعالى أعلم

1. صحيح البخاري، كِتَاب النَّفَقَاتِ، بَاب نَفَقَةِ الْمُعْسِرِ عَلَى أَهْلِهِ.
2. منهاج الطالبين، ص248.

من فقه الكتاب والسنة

الريح من روح اللّه

كمال بواطنه/ مدير دائرة الكتب والمطبوعات التربوية/ وزارة التربية والتعليم

من جنود الله التي لا تُرى، ولكن يُرى أثرها، الريح، والريح من القوّة بمكان، بحيث تستطيع أن تحمل الغيوم المحمّلة بالأمطار، وتستطيع أن تدفع السفن في البحار، ولديها القدرة على التدمير، ومن الممكن أن تهدم البيوت، وتكسّر الأشجار، وتسفي التراب والرمال...، وكلّ هذا لا يكون بغير إذن الله.

وقد كانت الريح من وسائل انتقام الله من بعض الأقوام، ومنهم عاد قوم هود، الذين أرسل الله عليهم الريح العقيم، التي لا تترك شيئاً أمامها إلا دمرته وفتّته، والله تعالى يقول: {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ* مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ}(الذاريات:41 - 42)؛ أي كالعظم المتفتّت والبالي، ولقد رأى قوم عاد الغيوم من بعيد، فظنّوها عارضاً سيمطرهم، فاستبشروا، ولكنّ العذاب جاءهم من حيث توقّعوا الخير، حيث يقول عز وجل: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ}.(الأحقاف:24 - 25)

ومن الملاحظ في كتاب الله أنّ الريح عندما تأتي مفردة، يكون فيها- في الغالب- العذاب،

ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه عند الحديث عن الأحزاب الذين غزوا المدينة المنوّرة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}(الأحزاب:9)، ومنه قوله سبحانه: {أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ...}(الإسراء:69).

وعندما تأتي بلفظ الجمع ففيها -في الغالب- الرحمة، دلّ على ذلك قوله سبحانه: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ}(الحجر:22)؛ أي تنقل حبوب اللقاح إلى أعضاء التأنيث في الأزهار؛ ليتمّ الإخصاب، وتكوين الثمار، وقال بعضهم: تلقح السحاب فتدرّ الماء، وقيل: تلقح السحب الحارّة بالسحب الباردة، فتزيد عمليّة التكاثف، فتسقط الأمطار، ومنه قوله سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}(الفرقان: 48)، وقوله سبحانه: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ}.(الروم: 46)

سؤال الله خير الريح والاستعاذة من شرها:

بما أن الريح تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فمن الخير للمسلم أن يسأل الله خيرها، ويستعيذ من شرّها، ولقد تعلّمنا من هدي نبيّنا، صلّى الله عليه وسلّم، ألا نسبّ الريح؛ فهي مأمورة، وليس لها اختيار في أن تجلب الخير أو الشرّ، وإنّما الذي يقدّر ذلك الله عزّ وجلّ، يقول صلّى الله عليه وسلّم: (الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَلاَ تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا).(*)

من الناس عن جهل أو غواية من يسبّ الريح، وبخاصّة عندما تهبّ جافّة مدمّرة، أو تحمل

* مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

التراب والرمال، وهذا يجانب الصواب؛ ذلك أنّ الله وحده هو القادر على جعلها طيّبة تأتي بالخير، ومن الخير له أن يمدّ يده إلى السماء بالدعاء المأثور عنه، صلى الله عليه وسلّم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ)[1]، ومن الملاحظ أنّ المسلم يسأل الله ثلاثة ألوان من الخير في الريح: خيرها، وما يمكن أن يكون فيها نفسها من خير، كأن تلطّف الأجواء وترطبها، أو تصرف عنّا رائحة خبيثة كدخان ونحوه...، وهناك خير ثان؛ يأتي ممّا فيها، من حملها الغيوم، ونزول المطر، وهناك خير ثالث، يكمن فيما أرسلت من أجله، فقد تكون مقدّمة لتكوّن المنخفضات الجويّة، وهطول الغيث، وكلّنا كان يسمع من كبار السنّ قولهم: الرياح الشرقيّة تحرّك المطر.

ريح العذاب:

النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، كان إذا هاجت الريح يكثر من الدخول والخروج، ولمّا سئل في ذلك، أبانَ أنّه يخشى أن تكون ريح عذاب، كتلك التي جاءت عاداً، تقول عائشة، رضي الله عنها: (وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا؛ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ يَا عَائِشَةُ: مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا)[2]، ومن السنة أن يكثر المسلم من التكبير إذا هبّت الريح المحمّلة بالأتربة، وأن يدعو ربّه كما جاء في الهدي النبويّ: (اللَّهُمَّ لَقْحًا لاَ عَقِيمًا).[3]

1. صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر.
2. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة حم الأحقاف، باب قوله: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}(الأحقاف:24)
3. صحيح ابن حبان، 3 / 288، قال الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط البخاري.

فوائد الرياح:

بعض الناس يصابون بضيق في التنفّس عندما تهبّ الرياح المحمّلة بالغبار، وتظهر عندهم أمراض الحساسيّة وغيرها، ومع هذا، فقد رأى العلماء أن هذه الرياح فيها فوائد، فهي تمنع الإشعاع الضارّ، وتقتل الميكروبات والحشرات، وتمنع تبخّر الماء في النبات، وتقلّل درجة الحرارة في الجوّ، وتزيد خصوبة التربة، وتساعد على تلقيح النبات...، والله مرسل الرياح، أدرى بحالنا، وبما ينفعنا، وهو مطّلع على ما يظهر لنا، وما غاب عنّا، وما نعلمه قليل، ولكنّ علم الله يفصح عنه ما قال في آية الكرسيّ: {وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ} (البقرة: 255)، والله سبحانه تستغفره الملائكة، ويقولون: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} (غافر:7)، فقد يكون الخير فيما نحسبه من الضرر، ويكون الضرر فيما نحسبه من الخير.

من فقه الكتاب والسنة

الوسائل التعليمية في القرآن والسنة

أ. يوسف عدوي - جامعة بيت لحم - كلية التربية

مقدمة:

الحمد لله الذي خلقنا، وعلمنا ما لم نكن نعلم، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، الأكرم، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فالقرآن الكريم، الكتاب العظيم المحفوظ منذ أن أُنزِلَ على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، في الصدور والسطور، ومحفوظ من كل مس أو تحريف، الذي وحَّد اللغة العربية، وطورها وآدابها، وعلومها الصرفية والنحوية، وحفظها من التلاشي والانقراض، وآيات القرآن محكمات مفصلات، ويخاطب الأجيال كافة في القرون كلها، ويتضمن المناسبات كلها، ويحيط بالأحوال، لذا فهو صالح لكل زمان ومكان، كيف لا؟! وهو كلام الله تعالى، ومعجزة النبي، صلى الله عليه وسلم، وآياته تتحدى العالمين، بأن يأتوا بمثله، أو حتى ببعض آياته.

الوسيلة والقرآن والسنة لغة:

الوسيلة أو الواسلة: من وسل؛ أي رغب وتقرب، والوصلة، والمنزلة عند الملك، والدرجة درجة النبي، صلى الله عليه وسلم، في الجنة، وتجمع على وسائل، ووسل[*]، قال رسول الله،

* المعجم الوسيط، مادة وسل، ص1032.

صلى الله عليه وسلم: (من قال حين يسمعُ النداءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ).[1]

القرآن: من قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، وأصله القرء بمعنى الجمع والضم، فسمي قرآناً؛ لأنه يجمع السور، فيضمها، وقوله تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}(القيامة: 17)؛ أي جمعه وقراءته، ويقال: (قرأت الماء في الحوض) بمعنى جمعته فيه و(ما قرأت الناقة جنيناً)؛ أي لم يضم رحمها ولد.[2]

السنة: الطريقة، والسيرة حميدة كانت أم ذميمة، وسنة الله: حكمه في خليقته، ومن معانيها، الطبيعة والخلق، والوجه، والصورة، وفي الشرع: هي العمل المحمود في الدين مما ليس فرضاً، ولا واجباً، وأهل السنة: هم القائلون بخلافة أبي بكر وعمر عن استحقاق.[3]

والوسيلة والقرآن والسنة اصطلاحاً:

الوسيلة التعليمية: هي الوسائط جميعها، التي يستخدمها المعلم في الموقف التعليمي، لتوصيل الحقائق، أو المعاني للتلاميذ، لجعل درسه أكثر إثارة وتشويقاً، ولجعل الخبرة التربوية خبرة حية، وهادفة ومباشرة في الوقت نفسه.[4]

القرآن الكريم: هو الكتاب الرئيس في الإسلام، يعظمه المسلمون، ويؤمنون بأنه كلام الله، المنزل على نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، للبيان والإعجاز، المنقول بالتواتر، والمحفوظ في

---

1. صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء.
2. لسان العرب، ابن منظور، مادة قرأ، ص128.
3. المعجم الوسيط، مادة سن، ص456 .
4. مقدمة ابن خلدون، مقدمة في تقنيات التعليم، د. نادر سعيد، ود. سامح إسماعيل، ص 34.

الصدور والسطور، والمتعبد بتلاوته.[1]

السنة النبوية: هي ما أضيف إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، قولاً أو فعلاً أو وصفاً أو تقريراً.[2]

وتعدُّ السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن، والحديث والسنة يليان القرآن في الحجية، ووجوب العمل بهما، فمنهما تستمد أصول العقيدة، والأحكام المتعلقة بالعبادات، والمعاملات، ونظم الحياة من أخلاق، وآداب تعليمية وتربوية، قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}(النجم: 3 - 4)

الوسائل التعليمية في القرآن:

بدأ استعمال الوسائل التعليمية في التربية والتعليم والحياة قديماً؛ منذ الإنسان الأول، فلو تأملنا قوله تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}(المائدة: 31)، فهذه الآية تبين قصة هابيل وقابيل ابني آدم، عليه السلام، وكيف أن الله سبحانه وتعالى أرسل غراباً، فقتل غراباً آخر ودفنه، فعلم قابيل كيفية موراة (دفن) جثة أخيه هابيل الذي قتله، وهذه وسيلة تعليمية ضمن نمط العروض العملية والتطبيق العملي.

أنواع الوسائل التعليمية في القرآن:

لقد وجد الدارسون أن الوسائل التعليمية في القرآن تأتي على نوعين، وذلك على النحو الآتي:

1. أمكن الرجوع إليه في 19\9\2016م https://ar.wikipedia.org/wiki.
2. إسلام أون لاين، أمكن الرجوع إليه في 21\9\2016م islamonline.

النوع الأول: وسائل توجيهية إرشادية موجهة في آيات القصص، وهي التي توجه السلوك، وترشد إلى الطريق الأمثل في سلوك المراد لفت النظر إليه، كقصة ابني آدم، وقصة إبراهيم، عليه السلام، في إثبات الإله الحق، وقصة سيدنا يوسف، عليه السلام، في جعل السقاية في رحل أخيه، وقصة سيدنا موسى، عليه السلام، مع العبد الصالح، وغيرها من القصص.

النوع الثاني: الوسائل التعليمية الإثباتية والبرهانية في آيات القصص، والتي تثبت من خلالها للمخاطب برهاناً ودليلاً على شيء أراده، أو دليلاً على خلاف ما اعتقده، أو ساوره الشك فيه(*) ومن نماذج الوسائل الواردة في القرآن، ما يأتي:

1. ضرب الأمثال: وذلك باستخدام (مثل) و(الكاف)، قال الله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (العنكبوت: 41)

2. عناصر القصة: ومنها القصة القصيرة، كقصة قوم صالح، عليه السلام، وقصة قوم لوط، عليه السلام، وغيرها. والقصة الطويلة، كقصة سيدنا يوسف، عليه السلام، وقصة سيدنا موسى، عليه السلام، وغيرها.

3. عناصر الكون: من نبات، وحيوان، وطيور، وماء، وجبال، وفلك، وحشرات، وغيرها.

قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.(فصلت:53)

4. العروض العملية: كما أشرنا سابقاً في قصة ابني آدم والغرابين.

* مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، زكريا الخضر وآخرون، منهج القرآن الكريم في تقديم الوسائل التعليمية من خلال آيات القصص، مجلد (25) ص45، 2011.

5. الرحلات التعليمية: وقد ورد الحث على ذلك في قوله تعالى: {فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}(التوبة: 122)

6. الزيارات الميدانية: والهدف منها التعرف إلى آثار المكذبين في البيئة، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}(الأنعام: 11)، وخارج البيئة، قال تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}(آل عمران: 137)[1].

مما سبق، نجد أن الوسائل التعليمية في القرآن تهدف إلى تعليم المخاطب، والرقي بمعرفته، والمضي به قدماً تجاه تقويم السلوك وتعديله على أوفق مناحي التقويم، ويقوم منهج القرآن على ربط الوسيلة التعليمية بهدفها وغايتها، وتقريب الفكرة للأذهان بأسلوب مقنع، واختيار الوسيلة المناسبة لأذهان المخاطبين وعقولهم، وكونها مباشرة ومحسوسة، ليس فيها غموض أو لبس، وإنها أداة تميز، ومقياس من مقاييس رفع الدرجات، ويختار القرآن الوسيلة وفق المكان والزمان المناسبين لتوضيحها وبيانها، ويرشد إلى ضرورة التكامل بين الوسائل التعليمية المختلفة، والتنويع في الوسائل، تبعاً للموضوع، والغاية من أجل الإقناع، والإرشاد، وتحقيق الأهداف.[2]

الوسائل التعليمية في السنة النبوية:

لقد وظف الرسول، صلى الله عليه وسلم، الوسائل التعليمية في نشر الدين الإسلامي، وفي تعليم أصحابه والمسلمين أمور دينهم، وشؤون حياتهم، وكان يريهم أعمالهم نموذجاً تطبيقياً، إما بالتوجيه المباشر، أو بالتلميح، أو بأساليب أخرى تدخل ضمن ما نطلق عليه

1. مقدمة في تقنيات التعليم، مرجع سابق، ص24 - 26.

2. انظر مجلة النجاح، منهج القرآن الكريم في تقديم الوسائل، مرجع سابق، ص150 - 160.

اليوم الوسائل التعليمية، وهذه بعض النماذج التي استخدمها الرسول، صلى الله عليه وسلم:

1. ضرب الأمثلة: عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: (**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا**).[1]

2. القصة: ومن أمثلتها قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، وقصة الرجل الذي اشتد به العطش، وشرب، وأسقى كلباً أصابه من العطش ما أصابه.

3. اللوح: كان اللوح من ضمن ما يستخدم من أدوات لكتابة القرآن الكريم.

4. عناصر الكون المادي، (البيئة): كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يذكر عناصر البيئة في مواقف متعددة، كفضل العالم على العابد، ورؤية الله بالنسبة إلى المؤمنين، وتوضيح فضل قراءة القرآن، والفرق بين المؤمن والمنافق والكافر في ذلك، وذكر الحيوانات في فضل التبكير إلى الجمعة، وذكر النحل والنمل وغيرها، وتشبيه المؤمن بها في النشاط، والهمة، وعمل الخير.

5. الرسوم التوضيحية: استخدم الرسول، صلى الله عليه وسلم، الرسوم التوضيحية على هيئة خطوط؛ زوايا وأشكال، في توضيح قضايا معنوية كبيرة، لتصوير المعنى، وتوضيحه وتبسيطه، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: رسم يوضح طريق الخير وطريق الشر، ورسم يوضح الإنسان وأجله وأمله والأعراض والصعوبات التي تقابله.[2]

6. العروض العملية: ورد في السنة أحاديث كثيرة تبين استخدام النبي، صلى الله عليه

1. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الْمَشْي إِلى الصَّلاَةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ.
2. هندسة الوسائل التعليمية، د. عبد المعطي حجازي، ص27 – 28 .

وسلم، العروض العملية في تعليم الصحابة أمور الدين، خاصة العبادات؛ كالصلاة، والحج، والتيمم.

ففي الحج يقول: (**لِتأخُذُوا مَناسِككم، فإنّي لا أَدْرَي لَعلي لا أَحجُّ بَعْد حِجَتي هَذه**).(*)

كذلك فيما يتعلق بالتقوى وإشارته إلى صدره ثلاثاً، لبيان أهمية عمل القلب.

7. الحركات المعبرة: ويقصد بها تغير ملامح الوجه، أو هيئة الجلسة، أو الإشارة باليد، أو الأصابع أو غيرها، بهدف التعبير أو تجسيم الأحاسيس، وبلورتها، بحيث تعرض سماتها الواضحة المعبرة على المشاهد، وهي تختلف عن أفعال الإنسان الأصلية التي يقوم بها في أكله وشربه.

8. الأشياء الحقيقية والعينات: استخدم الرسول، صلى الله عليه وسلم، الأشياء الحقيقية في مواقف عديدة، منها الحصى والعصي وغيرها.

فهذه إشارات للوسائل التعليمية المستخدمة في القرآن والسنة النبوية المطهرة، عسى أن تنبه إلى أهمية الوسائل التعليمية في مجال التربية والتعليم، إلى جانب لفت الأنظار إلى عناية القرآن والسنة بهذا المجال التعليمي والتربوي.

---

* صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله صلى الله عليه وسلم: (لتأخذوا مناسككم).

العلم ... والخشية ... والاستقامة ...

الأستاذ رائد خليل جاد الله / معلم لغة عربية / تربية رام الله

قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}.(فاطر: 28)

فالعلم يدعو إلى الخشية، والخشية تدعو إلى الاستقامة، والإنسان يخشى بقدر ما يعلم، ويستقيم بقدر ما يخشى.

وعودة إلى الآية السابقة، فإن الحرف {إِنَّمَا} يفيد الحصر، أي إنه لا يخشى الله أحد إلا العلماء فقط، والعالم هنا، ليس المقصود به ذلك الذي ندعوه بالشيخ فحسب، إنما كل من عرف مقام ربه، وعلم ما له وما عليه، فالتزم الأمر الرباني، وابتعد عما نهى الله عنه وزجر، وقد صدق جل وعلا إذ يقول: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}.(النازعات: 40)

أجل، فمن عرف مقام ربه هو من يخشاه، والخشية تقود إلى الاستقامة، والطاعة، وتلكم الطاعة لا تكون على الهوى، بل هي وفق ما جاء به كتاب رب العالمين.

خشيةٌ فاستقامة، كما أمر الرحمن الرحيم، بقوله: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.(هود: 112)

وضع الله سبحانه وتعالى لنا منهجاً قويماً لنستقيم عليه، وجعل لنا دستوراً عظيماً لنلتزم به، وبيّن لنا كيفية التعامل مع هذا المنهج، وأهمية الالتزام بهذا الدستور، فقال جل شأنه:

{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}.(المائدة: 48)

كتاب واضح كالشمس، منير وينير، هو القرآن الكريم، معظم آياته محكمات، لا تحتاج إلى تفسير، أما المتشابهات فيه فقليلة، تشرحها سنة المصطفى، عليه الصلاة والسلام.

فالشرعة كما في قوله تعالى، هي افعل ولا تفعل، تلك هي الأحكام الشرعية في كل موضوع يتصل بحياة الإنسان.

أما المنهاج، فطريقة التعامل مع هذه الشريعة، وقد بينها لنا النبي الأكرم محمد، صلى الله عليه وسلم، في السنة الشريفة، مصداقاً لقوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}. (الجاثية: 18)

فالإنسان الذي لا يتبع شرع رب العالين، ولم يستقم كما أمر، فقد اتّبع الهوى، حيث إن كل ما خالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وما قيس عليهما هو من الهوى، والهوى لا يتبعه إلا الذين لا يعلمون، وإن كانوا قد تخرجوا من جامعات الآداب والعلوم.

فهذا هو رب العزة، يقول: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}. (القصص: 50)

فالذي يعلم، ويقدر الله حق قدره، سيخشى، ومن يخشَ يستقم، أما الذي لا يعلم، فلن يخشى، وسيتبع هواه، ويضل السبيل.

هذا، وهناك فئة أخرى، تعلم ولا تنهى النفس عن الهوى، فتتبعه، فتضل السبيل، وقد حذر مالك الأرض والسماء من ذلك، بقوله: {وَلا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ}. (ص: 26)

وتلك الفئة من الناس، قد تجد فيهم ممن تعلموا الدين الإسلامي ودرسوه، لكنهم-وا ألماه-

يأخذون من الدين ما يوافق نزواتهم، ويتركون منه ما لم يوافق رغباتهم، وهم بفعلتهم تلك، إنما يعبدون الأنا، وقد أشركوا طاعة ربهم مع طاعة أهوائهم، وفيهم قال العزيز جل وعلا: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}. (يوسف: 106)

وعنهم قال أيضاً: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ}(الجاثية: 23)

أما النتيجة التي تنتظرهم بفعلتهم تلك، فهي بينة في قوله تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}. (البقرة: 85)

نعم، فالاستقامة لا بدَّ لها من استسلام كامل لله تعالى، والتزام تام بكل ما جاء به القرآن العظيم، وحث عليه سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلم، في سنته الشريفة.

وما أجمل ما بشر الله به عباده المؤمنين في هذه الدار! حيث قال في محكم التنزيل: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (فصلت: 30)

وما أعظم ما وعد الله به عباده المتقين، في دار القرار! إذ قال جل وعلا: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} (النازعات: 40 - 41)

جعلنا الله وإياكم من المؤمنين المتقين، الذين علموا فكانوا ممن يخشون الله، فاستقاموا على النهج الذي يرضي الله رب العالمين.

قضية ساخنة

أيهما أولى: مكافحة التطرف والإرهاب، أم معالجة الأسباب المؤدية إلى ذلك؟

د. حمزة ذيب مصطفى/ جامعة القدس/ مدير مركز القدس للدراسات والإعلام الإسلامي

لقد شغل ما يسمى اليوم بالإرهاب أو التطرف العالم بأسره، وما تستمع لنشرة إخبارية في أي وسيلة إعلامية إلا وتجد للتطرف أو الإرهاب حصة الأسد من النشرة الإخبارية أو الإعلامية فيها.

ويكاد التطرف أو ما يسمى بالإرهاب يزلزل الأرض في مواقع متعددة من المعمورة، ويشغل بال كثير من السياسيين والإعلاميين والتربويين والمفكرين، ويكاد يأكل الأخضر واليابس في كثير من دول المنطقة، وأتى على كثير من البنى التحتية، ودمر البلاد، وقتل العباد، وشردهم في بعض من هذه الدول، وأحال العمار إلى خراب، والجنان إلى أرض مبادة، والجمال إلى قبح، والغنى إلى فقر، والأمن إلى خوف، والطمأنينة إلى رعب، والسكينة إلى اضطراب، كما أن هناك كثيراً من الدول والمواقع غير العربية والإسلامية قد قُضَّ - بضم القاف وتشديد الضاد المفتوحة - مضجعها، وما يزال التطرف يقض مضجعها إلى اللحظة، وتجد كل دول العالم مشغولة بالتطرف وأخباره، والخوف منه، والتنديد به، والتفكير في محاربته، وملاحقة من وصموا بهذا الوصف وقتلهم، والزج بهم في السجون.

وتسخر هذه الدول وما سواها كل ما لديها من طاقات، وجهود، ورجالات أمن، ومال، وسهر، وتفكير، ناهيك عما يكلف هذه الدول، وما سواها مما تعاني من مشكلات التطرف، والعنف

والإرهاب من الناحية المالية، فالملاحظ من كل ذلك أن ملاحقة التطرف والقضاء على العنف مجهد جداً، ومكلف جداً، ومعوق لحركة التطور والتقدم، لدى الشعوب التي ابتليت بهذا اللون من التفكير، والسلوك والمنهج، بل تضع مدخراتها ومدخولاتها كلها تحت تصرف ما يسمى بمحاربة الإرهاب؛ من طائرات وسلاح بأنواعه وأشكاله كافة، وهذا مما يكلف مئات المليارات، وهذا كله على حساب نفقة العيش لدى هذه الشعوب، لا سيما من كانت مبتلاة بالفقر وعسر المعيشة؛ كالصومال، واليمن، وسوريا، ومالي وغيرها، كما أن ذلك أيضاً -كما أسلفنا- معوق جداً لحركة التطور والتقدم لدى الشعوب، التي تعاني من مثل هذه الويلات؛ من العنف والفتن والحروب الداخلية، بل هي حروب وفتن لا تبقي ولا تذر، ولا يتوافر معها أمن ولا أمان، ولا يدوم معها استثمارٌ أو تطورٌ لعجلة الاقتصاد، فإن رأس المال دائماً أول ما يبحث في بلد، فإنه يبحث عن أمن وأمان، واستقرار، وازدهار حياة، وإلا إذا فقد الأمن، فلا يمكن أن يفكر لحظة في الاستثمار، ووضع الأموال الطائلة، لغايات تنمية هذه البلدان، واستثمار بنيتها الاقتصادية، ومن هنا؛ فإن رب العزة سبحانه حينما ذكر نعمه، وامتنانه على قريش، فإنما ذكرها بهاتين النعمتين العظيمتين والجليلتين؛ نعمة الأمن، ونعمة الاقتصاد، فقال سبحانه: {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}(قريش: 4)، فالبلد، أو الدولة، أو المنطقة، التي تبتلى بالتطرف فكراً ونهجاً وسلوكاً، سينعكس ذلك عليها سلباً بالعنف، والحروب والفتن الداخلية، وهذا في حد ذاته -كما أسلفنا- مكلف جداً ومعوق جداً، كما أن الأمر لا يقف عند هذا الحد، بل ستُنفق على محاربته والوقوف في وجهه المليارات، والتي هي من الضرورات للشعب، أو شعوب المنطقة، وهذه المليارات المنفقة، والمصروفة في سبيل مكافحة هذا العنف، فإن المواطن ينتظرها لحظة بلحظة؛ كي تكون سبباً في إنعاشه، ويسر حياته، ورغد يومياته،

وتطوير بنيته الاقتصادية، فنحن والحالة هذه، نكون قد خسرنا كل شيء، خسرنا المواطن، وفقدنا رأس المال، وضاع أمن البلاد، وتهدد استقراره وعيشه. فلِمَ كل هذه المنازعات إذن؟ ولِمَ كل هذه الحروب والفتن؟ لِمَ كل هذه الخصومات؟ لِمَ نهلك أنفسنا بأنفسنا، وندمر بيوتنا ونخربها بأيدينا؟ لِمَ نعرض شعوبنا للقتل، والتشريد، والتهجير، ونعرض النظام للزوال، أو يبقى النظام على فوهة بركان عظيمة، وصفيح ساخن جداً، لا يعرف للنوم طعماً، ولا لهدوء البال سبيلاً، ولا للطمأنينة والسكينة درباً، وهذا في حال بقاء النظام، فيضحي النظام في حالة من الوصف، كما نعتت الخنساء أخاها:

لا هو ميت فينعى ولا حي فيرتجى

ثم من قال بعد كل هذه الجهود المضنية، والخسائر الفادحة والحروب، التي ما أبقت ولا خلّت -بفتح اللام المشددة- والدمار الشامل، وسياسات الأرض المحروقة، أن الأمور ستهدأ، وأن الحياة الرتيبة ستبدأ، وأن الاقتصاد سينتعش، وأن الأمن سيستقر، وأن المواطن سيسعد، وأن الحريات ستسود، وأن التنمية ستعظم، وأن مساحات الحوار والتفاهمات، سيزيد حجمها، وتتسع رقعتها، وأن الثقة والود ما بين الحاكم والمحكوم، ستكون هي البديل للحرب الأهلية، والفتنة الداخلية؟

بعد هذه الظلال من الحروب، وبعد هذا الفتك من الطرفين ببعضهم بعضاً؛ الشعب، أو المعارضة، والنظام، وبعد كسر العظم ما بين هذين الجسمين، وبعد كل هذه المصائب والويلات، هل ستكون الأمور على ما يرام، وعلى خير ما يحب النظام والمواطن معاً؟ هذا من المحال، وهناك النماذج المتعددة، وما هدأت الأمور بعد كل هذا العنف إلا بالحوار والتفاهم، وإذعان كل منهم للآخر، لكن لماذا بعد كل هذا الخراب والدمار؟! لماذا بعد كل هذا القتل وسفك الدماء؟! لماذا بعد

كل هذه الخسائر المادية؟! لماذا يتم ذلك بعد تدمير الاقتصاد، وإنهاك البلد، أو الدولة؟!

هذه التفاهمات وهذه المصالحات، إن تمت، فهي متأخرة جداً، وبلا شك أنها خير من دوامة العنف، لكن كان بالإمكان تلافي كل ذلك، وتجنيب البلاد والعباد كل هذه الشرور والمصائب والدمار.

لم لا نتحسس سبل التطرف وأسبابه؟! لم لا نستمع جيداً وبهدوء للمعارضة، وهي لسانية، قبل أن يستفحل الأمر، ويتطور إلى لغة السلاح؟! لم لا نتتبع أسباب العنف لدى الشباب، ولدى الشعوب، ونجلس معها، ونتحاور معها، ونأخذ منها ونعطيها؟! لم لا نصغي إلى الرأي الآخر، وإن كان خلاف ما نعتقده ونتبناه؟! لم نستخدم حيال الشعوب والمعارضة الهراوات والعصي المكهربة وقنابل الغاز المسيل للدموع بل السلاح القاتل؟! لم نلاحق من يدلي بدلو من نصيحة، أو يقول رأياً عنده، خلاف ما يهوى النظام وجلاوزته؟! لم لا نلوح للمواطن، ولا نري الشعوب سوى العصا والتهديد والوعيد؟! لماذا نطلق الحرية المطلقة لبعض الدوائر والجهات، كي تعيث في الأرض فساداً، وتلاحق من تشاء متى تشاء، دون حسيب أو رقيب أو مساءلة؟! لماذا لا تتوافر لدى هذه النظم القوانين العادلة، والتي يتساوى أمامها كل الناس، لا فرق بين سائل ومسؤول، وحاكم ومحكوم، وغني وفقير، وسيد ومواطن عادي؟! لم نغيب سياسات العدالة حين التعامل مع الرعية والشعوب؟ لم سياسات القهر والبطش والملاحقة للمواطنين؟!

إن النظرة العلوية من النظام للشعب نظرة غير عادلة، ونظرة غير إنسانية، وليست بسياسة سليمة وقويمة، إن التعامل مع الشعوب من قبل النظم الحاكمة عبر سياسات الكبر والتعالي، والسيطرة، والسياط، يورث مثل هذه المعارضات المسلحة، ويورث الفكر المتطرف لدى الشباب، مما يضطر الشباب، وتضطر المعارضة وتفكر الشعوب في استخدام العنف، واتخاذ طرائقه سبباً

في التفكير؛ كي يكون وسيلة للتعبير عن الموقف، وعن الرأي، ووسيلة بالتالي للتغيير، وإصلاح الفاسد من جيوب المجتمع.

إن الفساد الإداري والفساد المالي، إن لم يجد سبيلاً للتغيير والإصلاح من قبل الفئة الحاكمة، سيولد هذا الفساد سخطاً مجتمعياً كبيراً، وسيولد سخطاً في صفوف الناس، وتذمراً عريضاً، مما سيحول هذا السخط، وهذا التذمر لدى الشعوب إلى ضجر عظيم، ومن ثم إلى مواجهة لا تتسم إلا بالعنف والقوة. ومن هنا قال الحكماء: (داو جرحك لا يتسع) و(العدل أساس الملك) وجاء في المثل السائر: (اعدل نفسك تحير عدوك) و(الصراحة أو الحقيقة في مرارتها خير من النفاق في حلاوته) و(صديقك من صدَقك - بفتح الدال - لا من صدَّقك - بفتح الدال المشددة -).

وهكذا، والحكم والأمثال عبر هذا السياق كثيرة، أخذنا شاهداً منها. ودوماً الاستقامة خير من العوج، والصواب خير من الخطأ، والحق أفضل من الباطل، والصدق أنجى من الكذب، والإخلاص آثر من النفاق، واليقين مقدم على الحرص، والتحقق مقدم على الظن. وهكذا دواليك. لماذا لا نصوب البوصلة في الاتجاه الصحيح؟! لماذا نغفل عن الحقيقة، ونعدل عن قول الحق؟! لماذا نضع رؤوسنا في الرمال مثل النعامة، التي تظن حينئذ ألا أحد يراها؟! لماذا ينافق بعضنا بعضاً، ويجامل بعضنا بعضاً، والكل يعلم أن ذلك نفاق، وتلك مجاملة فارغة وباطلة؟!

كنت قبل فترة وجيزة في إحدى الدول العربية، وكان هناك مؤتمر بعنوان: (دور الإعلام في التصدي للإرهاب)، وكان مما قلته في هذا اللقاء الكبير والجمع الغفير:

إن البوصلة في مقاومة الإرهاب ليست في الاتجاه الصحيح، إن العنف والتطرف والإرهاب ليس هو المرض، وإنما هو عرض، فإذا زالت أسباب المرض شفي الإنسان، وزال العرض، نحن نوجه

طاقاتنا وإمكاناتنا لمقاومة العرض لا لمعالجة المرض، وبالتالي سيبقى المرض إن لم نعالج أسبابه ودواعيه، لكن إذا عالجنا المرض، فإن العرض سيزول وحده. فإذا لم نعالج أسباب التطرف والعنف في أوطاننا العربية، فلن نقضي على العنف والتطرف، وسنبقى جميعاً في صراع دائم قد يهدأ فترة، لكن سرعان ما يثور من جديد، كالبركان، الذي يهدأ فترة ثم يثور ثانية.

ولكننا إذا تحسسنا أسباب الإرهاب، وبحثنا عن دوافع العنف، وعالجنا ذلك، فإن الإرهاب والعنف، سينتهي وحده. ونكون حينئذ في الاتجاه الصحيح. هذا ما قلته في ذاك المؤتمر بشكل مختصر.

وأقول هنا: إن التربويين والأكاديميين والمفكرين والباحثين وحتى السياسيين مدركون ذلك. ولكن تنقصنا الجرأة والشجاعة، وينقصنا أن نكون أصحاب مبادئ، لكن فئة كثيرة من الناس تركض وراء مصالحها ومنافعها الذاتية والشخصية، وتخشى على مواقعها وكراسيها، وبالتالي لا تجرؤ على أن تكون صريحة وناصحة أمينة، فتقول ما يرضي الجهات الحاكمة، وتردد ما يقوله الحاكم أو المسؤول، وتتساوق معه بحق أو باطل، فالناس في أوطاننا العربية على دين حكامهم، ولا يعلمون لو انقلبت المعادلة فسيكون الحكام على دين شعوبهم. وحينئذ تستقيم الأمور، وتصلح الأحوال، ويستتب الأمن، وستسود العدالة المجتمعية، وسيشعر المواطن بكرامته وإنسانيته، وسيحفظ له حقه، قويٌ أم ضعيف، غني أم فقير، سائل أم مسؤول.

والله تعالى في حق فرعون وقومه يقول: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}.(الزخرف: 54)

علماء من فلسطين

دَور علماء بني مفلح الفلسطينيين في النهضة العلمية بدمشق منذ القرن الثامن الهجري

الشيخ عمار توفيق أحمد بدوي/ مفتي محافظة طولكرم

اتسمت فلسطين ودمشق بروابط ذات جذور بينهما، تجلّت بمظاهر عديدة؛ منها ما يتعلق بالحركة العلمية، التي سادت بين الحاضنتين العلميتين. وكانت فلسطين قبل مئات السنين تحت الحكم الصليبي، في القرن الخامس الهجري، وذاق المسلمون مرارة هذا الحكم الظالم؛ فعانوا ظُلمَه وظلامَه، وحوصروا بالبطش، والتنكيل في تلك الحقبة السوداء من تاريخ الصليبية. ورغم الظلام الدامس الذي مدّت الصليبية كابوسه النّحس؛ كان للعلم رايات تخفق في ربوعنا، ومنارات تضيء في ديارنا، ومنائر يستضاء بها، تشع بالمعرفة، والنور. وكان الحاكم الصليبي (أهومن بن بارزان، حاكم نابلس)(*)، يفرض الجزية على المسلمين، ويضاعفها أربعة أضعاف على أجدادنا الأجلاء؛ فكان يقطع أرجلَهم، واشتهر بالطغيان. وأقلقته دروس العلماء، واجتماع الناس عليهم، وكلمة الحق المجلجلة التي قضّت مضاجع الطغاة؛ فتآمر وزبانيته على قتلهم.

* أهومن بن بارزان. هكذا ورد اسمه في القلائد الجوهرية، وهناك روايات ترجّح أن يكون هومن مجرد موظف لجمع المال في ذلك العهد، أو يكون المقصود هو باليان شارتر، وهو صاحب يافا، وبعض مناطقها. ويدعى باليان الأول. أما باليان صاحب نابلس، فهو باليان الثاني، وتدعوه المصادر الإسلامية (باليان بن بارزان) الذي تزوج الملكة ماريا كومنينا التي حازت مدينة نابلس إقطاعاً على سبيل المعاش؛ فأصبح باليان سيداً للمدينة. انظر: المدني، رشاد عمر: الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي. ط1. غزة: مكتبة سمير منصور. 1435هـ/2014م. ص99.

وقيل له عن الفقيه العلامة الشيخ (أحمد بن محمد بن قدامة ت558هـ/1163م)[1]، من قرية جماعين: إنّ هذا الرجل الفقيه يشغل الفلاحين عن العمل، ويجتمعون عنده، فتحدث في قتله؛ فكان سبباً في أول هجرة علمية من فلسطين إلى دمشق في سنة 551هـ/1156م؛ إذ هاجر الشيخ أحمد، ومعه ثلاثة نفرٍ، هم: ابن أخيه محمد بن أبي بكر، وزوج أخته عبد الواحد بن علي بن سرور (والد الحافظ المحدِّث عبد الغني المقدسي)، وابن أخته عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن (والد الحافظ الضياء)[2]. وعاد فريق من أولئك العلماء المهاجرين، ومن ذريتهم، فكانوا قادة مجاهدين في جحافل القائد البطل الفاتح محرِّر القدس صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله. ومنذ ذلك الحين، انعقدت أواصر العلم الوثيقة بين فلسطين والشام.

وهناك في دمشق على سفح (جبل قاسيون)[3]، زرع أجدادنا المهاجرون بذور العلم في الصالحية، وسميت بالصالحية نسبة إلى صلاح العلماء الفلسطينيين المهاجرين من بطش الفرنجة الظلمة[4]. وهناك أيضاً كانت الشهرة الواسعة لعلمائنا، حيث سنحت لهم فرصة اللقاء بالعالم الإسلامي، وذاع صيت علمائنا خارج أوطانهم. قال ابن قاضي الجبل: الصالحيةُ جنّةٌ، والصالحون بها أقاموا، فعلى الديارِ وأهلِها مني التحيةُ والسلامُ[5]

1. هو: أَحْمد بن مُحَمَّد بن قدامَة بن مِقْدَام بن نصر، الرجل الصَّالح أَبُو الْعَبَّاس الجمّاعيلي الْحَنْبَلِيّ وَالِد الشَّيْخ أبي عمر، وَالشَّيْخ الْمُوفق نزيل سفح قاسيون. كَانَ صَاحب أَحْوَالٍ، وكرامات، جمع أخباره سبطه الْحَافِظ ضِيَاء الدّين، وسَاق لَهُ عدَّة كرامات.(ت558هـ/1163م). الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات. باعتناء س. ديدرينغ. يطلب من منشورات فرتر شتايز. 1411هـ. 8 /55.

2. ابن طولون، محمد الصالحي: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية. تحقيق محمد أحمد دهمان. دمشق: مجمع اللغة العربية. 1 /67-68. ثم لحق بأحمد بن قدامة خمسة وثلاثون نفراً من عائلته. (انظر: بدوي، عمار توفيق أحمد: العلماء الكرميون عبر ثمانية قرون وأثرهم في الحضارة العربية الإسلامية. ص18).

3. قاسيون هو الجبل الأشم الذي تقوم مدينة دمشق عند أقدامه، يتصل من جهة الغرب بسلسلة جبال لبنان، ومن الشمال والشرق بسلسلة جبال القلمون الممتدة إلى منطقة حمص. (ابن طولون: القلائد الجوهرية. 1 /37).

4. ابن طولون: القلائد الجوهرية. 1 /65.

5. النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي: الدارس في تاريخ المدارس. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1410هـ/1990م. ج2ص35.

العلماء الفلسطينيون في الشام، وحفاوة الأمير نور الدين زنكي بهم:

سرعان ما بدأت حركة الحياة تدور في المنطقة التي وطئتها أقدام هؤلاء العلماء المهاجرين، وتعرضوا لتنغيص الوشاة؛ فلاكت ألسنةُ الغِيبة لحومهم؛ فيسَّر الله تعالى لهم صدراً حانياً، ورجلاً قوياً، هو الأمير نور الدين زنكي؛ فكتب لهم أوقافاً يعيشون منها. فلما رأى شيخ العلماء؛ المجاهد الزاهد أحمد بن قدامة، إصرار الوشاة على أخذ ما في أيديهم؛ قال: أنا ما هاجرت حتى أنافس الناس على دنياهم[1].

ويجد الباحث في سِيَرِ العلماء الأعلام الفلسطينيين أنّ كثيراً منهم اتجهوا نحو الشام، سار بهم حادي الركب؛ فمنهم من استقر فيها، فذهبوا إلى تلك الدوحة العظيمة التي غرس فسائلَها أجدادُنا المهاجرون الأوائل في دمشق؛ فقطفوا أطايب ثمرها، وعاد نفرٌ منهم إلى فلسطين.

الدور الطليعي للعلماء الفلسطينيين المهاجرين في الشام:

شق علماؤنا في الشام طريقهم، وبنوا المساجد، وأسسوا المدارس، وأقاموا المعاهد، ورحل إليهم طلاب العلم الذين صاروا شيوخهم بعد حين. وتعلّقت قلوب الناس بهم حُباً، وكرامة. وشارك علماؤنا في تكوين عناصر الثقافة الإسلامية، وتأسيس الأسس الحضارية، ورسم الصورة المشرقة في الشام، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي. قال المؤرخان محمد الحافظ، ومطيع أباظة ـ الشاميان ـ : (كان للصالحية دَورٌ عظيم في الازدهار الثقافي، والعمراني، ولم تؤثر هجرة ـ على كثرة الهجرات إلى دمشق ـ كما أثّر هؤلاء الفلسطينيون في نهضة علمية وعمرانية)[2]. وقالا: (الأمر الذي يدل على أهمية هؤلاء الوافدين العلماء، الذين أعطوا،

1. ابن طولون: القلائد الجوهرية، ج1ص79.
2. الغزي، محمد كمال الدين: النعت الأكمل. تحقيق محمد حافظ ونزار أباظة. دمشق: دار الفكر. 1402هـ. ص8.

وأي عطاء خير من العلم! أنتجوا حضارة، وألّفوا كتباً قيّمة في المذهَب[1] والحديث؛ أصبحت تدرّس إلى اليوم، ويعتمد عليها في الترجيح)[2].

وقالا: الصالحية في دمشق أثر مبارك من آثار المهاجرين الذين تركوا بلادهم في فلسطين، هرباً بدينهم من الصليبيين[3].

دَور علماء آل مفلح الفلسطينيين في الشام:

من الأسر العلمية الفلسطينية التي هاجرت إلى الشام أسرة (آل مفلح) الفلسطينية، الرامينية الأصول. ذكر المجي: أنهم نزلوا صالحية دمشق[4]. والمعروف أنّ شيخ الإسلام محمد ابن مفلح الراميني (710هـ/1310م ـ 762هـ/1361م)، هو أول المرتحلين للشام من آل مفلح؛ طلباً للعلم، وقد قضى شبابه، وكهولته في دمشق، وتوفي فيها، ودفن في صالحيتها، ونسب إلى دمشق، والصالحية؛ فقيل: الدمشقي الصالحي.

وأسرة آل مفلح من الأسر الرامينية الفلسطينية العريقة في العلم، وأصولهم عُمريّة عدوية قرشية[5]، وفي فلسطين يرجع تاريخهم إلى قرية رامين من محافظة طولكرم، وتقع شرق طولكرم. وآل مفلح هم أهلُ نجابةٍ، وفصاحة، وبلغتْ شأواً عالياً في فراديس العلوم، وتصدّر رجالُها رياض العلماء، وتبوأتْ مكانةً مرموقة في كرسيِّ الفتيا، والقضاء، وجمعت شتات العلم في صدور علمائها.

وأطنب العلماء، والمؤرخون في تبجيل هذه الأسرة النجيبة، فقيل فيها دُرَر الكلام؛ قال

1. يقصدا المذهب الحنبلي.
2. الغزي محمد: النعت الأكمل. ص8.
3. الحافظ، محمد مطيع: جامع الحنابلة (المُظَفري). ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1423هـ/2002م. ص5.
4. المجي، محمد أمين بن فضل الله: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. بيروت: دار صادر. 1 /166.
5. قاله الدكتور العثيمين في حاشية السحب الوابلة. ص593.

المحبي: (بنو مفلح من البيوت المعروفة بالعلم والرياسة بالشام)[1]. وقال البوريني: (بيت مفلح البيت المشهور بالعلم الكثير، المعروف بالتصنيف، والتأليف بين الكبير، والصغير، من بني مفلح المفلحين، والعلماء العاملين، والقضاة العادلين)[2]. وقال أحمد سامح الخالدي عن عائلتي (بني الديري وبني مفلح): (نكاد نقول: إنهما احتكرا العلمَ في العصور الوسطى، وحملوا مشعله في العالم الإسلامي، في تلك الأيام المظلمة المدلهمّة)[3]، فكانوا مصابيح الظلام، ونور الهدى للأنام.

وقال الدكتور عبد الرحمن العثيمين: (آل مفلح من الأسر العلمية الحنبلية الكبيرة في بلاد الشام، التي حملت مشعل الحضارة، فتقلدوا مناصبَ القضاء، والفتوى، والتدريس، والإمامة، والخطابة، والوعظ، والحِسبة، -الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- وغير ذلك من المناصب)[4].

وقال الفقيه المؤرِّخ بكر بن عبد الله أبو زيد: (بيتٌ بلغَ في عَقِبِه العلمُ مبلغاً، فصار منهم قضاة، ومفاتي، ومدرسون، ومؤلفون، ومجتهدون، نَعِمَتْ بهم بلاد الشام، وانتفع بهم أهل الإسلام)[5].

وقال الشطي في ترجمة محمد أكمل بن إبراهيم بن عمر بن مفلح: (هذا آخر من عُرف من بني مفلح في دمشق، وقد انقرضت هذه الأسرة، ولم يبق منها سوى الأسباط، وهم بنو الأسطواني الأسرة الكبيرة المعروفة بدمشق، تولوا عنهم أوقافاً، ووظائف كثيرة)[6].

1. المحبي، محمد أمين بن فضل الله: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. بيروت: دار صادر. 1/ 166.
2. البوريني، الحسن بن محمد: تراجم الأعيان من أبناء الزمان. تحقيق صلاح الدين المنجد. دمشق: المجمع العلمي العربي. 1959م. 1/ 48.
3. الخالدي، أحمد سامح: أهل العلم بين مصر وفلسطين. منشورات وزارة الثقافة الأردنية. ط1. 1968م. ص 6.
4. ابن مفلح برهان الدين: المقصد الأرشد، 1/ 9. المقدمة.
5. أبو زيد: المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد، 1/ 538.
6. الشطي، محمد جميل: مختصر طبقات الحنابلة. دراسة فواز الزمرلي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1406هـ/1986م، ص104.

وهناك على سفح جبل قاسيون، وفي صالحية الشام، ألقى آلُ مفلح بِساطَ العلم؛ فجلّلوا الجبلَ، والسفح بجواهرِ العلوم، وسكنوا ذلك السفح، فيما أطلق عليه المؤرخون؛ (زِقاق بني مفلح)[1].

وأما شيخهم النجيب المفلح، فهو شيخ الإسلام محمد بن مفلح (ت671هـ/1362م). قال فيه أبو البقاء السبكي: (ما رأتْ عيناي أفقه منه)[2]. كان محمد بن مفلح شخصية فريدة، تبوأ منصب قاضي دمشق، وقيل فيه: أقضى القضاة العظام[3]. وكان الشيخ ابن تيمية يقول له: ما أنت ابن مفلح بل أنت مفلح[4]. وقال ابن القيم لقاضي القضاة موفق الدين الحجاوي: ما تحت قُبّة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح هذا، وعمره نحو العشرين[5]. فكان شيخ الإسلام ابن مفلح أعظم المراجع الفقهية في زمنه في الشام، واختياراته مقدمة، وكان من أعدل القضاة، وإضافة إلى منصب القضاء الذي مهر فيه، واشتهر، فقد تولى التدريس في أشهر المدارس الدمشقية، التي كانت محجّ طلاب العلم. فدرّس في المدرسة الصاحبة، ومدرسة أبي عمر، والسلامية، والصدرية، والعادلية، كما تولى الإفتاء في الشام[6]. وساهم محمد بن مفلح في دفع عجلة التأليف في دمشق؛ فساهم بكتب جليلة القدر، والنفع؛ أشهرها: كتاب الفروع في الفقه. قال ابن حجر في الدرر: (وأورد فيه من الفروع الغريبة ما بهر العلماء)[7]، ومن كتبه: الآداب الشرعية الكبرى، والصغرى، والوسطى. وحاشية على المقنع، والنكت

1. ابن بدران، عبد القادر بن أحمد: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال. تحقيق زهير الشاويش. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1985م. ص99. انظر: بدوي: شمس الدين محمد بن مفلح. ص16.
2. انظر: ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد. تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. ط1. الرياض: مكتبة الرشد. 1410هـ/1990م. 2/ 518.
3. انظر ترجمته الواسعة في: بدوي، عمار توفيق أحمد: شمس الدين محمد بن مفلح الراميني المقدسي الدمشقي حياته وآثاره. ص29.
4. ابن مفلح، برهان الدين: المقصد الأرشد، 2/ 519. العليمي: المنهج الأحمد. 5/ 118. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب. 8/ 340.
5. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب. 8/ 340.
6. انظر: شيخ الإسلام محمد بن مفلح حياته وآثاره، لعمار توفيق بدوي. 58ـ 62.
7. ابن حجر: الدرر الكامنة. 6/ 14.

على المحرر، كتاب في أصول الفقه، وغيرها. وتسلسل العلِم في عقبه، فأنجب من الأبناء والأحفاد خمسة وعشرين عالماً في فروع المعرفة. فعلماء آل مفلح المفلحين الفلسطينيين لهم القَدحُ المُعلّى في تأسيس، ونشر العلم، وبناء المدارس، وحمل مشعل الحضارة في دمشق. لقد ساهموا في إثراء المكتبة العربية الإسلامية، بعدد زاخر من المؤلفات النافعة في التفسير، والحديث، والفقه، والأدب، واللغة، والشعر، والنحو، وعلم السلوك، والمنطق، والتاريخ. نثروا فيها روائع قرائحهم، وعصارة تفكيرهم، وجميل أدبهم، وثمرات أقلامهم. وتفرع من هذه الأسرة العلمية قضاة، وعلماء، ومؤرخون، وأدباء، وفصحاء ألبّاء، (وتسلسل العلم في أحفادهم إلى القرن العاشر الهجري)[1]. وكان منهم قضاة دمشق، منهم العلاء بن مفلح، وأحمد بن مفلح، وعمر بن مفلح، تولى قضاء الشام والقاهرة، وعلي بن أبي بكر[2]. وتولى قضاء حلب، ومنهم علي بن أبي بكر بن مفلح[3] ومنهم من تولى قضاء بيروت، وبعلبك، وصيدا[4]، وتولى قضاء غزة، منهم عبد الله بن عمر بن مفلح[5].

لم يقتصر دور علماء بني مفلح الفلسطينيين في الشام على نشر العلم، وإنما كان لهم الدور الطليعي المتميز في الدفاع عن الشام، وأهله. وكانوا الصوت المجلجل بالحق؛ ففي فتنة (تيمورلنك) الإمبراطور المغولي عند دخوله الشام عام 803هـ/1400م، اجتمعت كلمة أهل الشام على عالم فلسطيني؛ هو برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني، الذي أجمع عليه أعيان الشام لقيادة وفدهم لمقابلة تيمورلنك؛ فكان صوتَ الشام، وممثلها، وفارسها، وعالمها. وحصلت مناظرات طويلة بين الراميني وتيمورلنك، وآخرها مكَرَ تيمور،

1. أبو زيد: المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد. 1 /539..
2. بدوي: العلماء الكرميون عبر ثمانية قرون. ص154، 155، 164، 168، 171.
3. بدوي: العلماء الكرميون عبر ثمانية قرون. ص168.
4. بدوي: العلماء الكرميون عبر ثمانية قرون. ص194.
5. بدوي: العلماء الكرميون عبر ثمانية قرون. ص185.

وغدر، فتنبّه إبراهيم بن مفلح لذلك، وفي المناظرة الأخيرة أجاب تيمورلنك بلسان فصيح صحيح: (فَفَكَّك أَزْرَارَهُ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ: إِنَّمَا أَنْتَ إِعَارَةٌ. وَكَأْسُ الْمَوْتِ لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهَا، فَسَوَاءٌ مَا بَيْنَ بُعْدِهَا وَقُرْبِهَا، وَالْمَوْتُ عَلَى الشَّهَادَةِ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ، فَأَنَا أَسْتَعِدُّ لِهَذِهِ السَّعَادَةِ، وَأَخْتِمُ أَحْكَامَ الْقَضَاءِ بِالشَّهَادَةِ)[1]. فوكزه جيش تيمورلنك، وهو خارج من عنده، فنال الشهادة متأثراً بجراحه. فكان الراميني عالم الشام الذي رد مقالة تيمورلنك، ودفع حياته ثمناً لكلمة الحق المدوية. وعدّ المؤرخون إبراهيم بن مفلح من مؤرخي الشام[2].

كان علماء بني مفلح قادة مدرسين في المدارس العلمية في الشام، وقصدها الطلبة من كل فجٍّ عميق، فالتمسوا شعاع النور الذي أوقد فتيلة علماء بني مفلح الفلسطينيين. وجثوا على ركبهم في مجالسهم العلمية. وغمسوا رِيَشَهم في مِدادِ محابرهم. ومنهم الصلحاء الزهاد، ذكّروا الناس بسيرة التابعين، كما قيل عن أحمد بن علي بن مفلح، ذكّرت سيرته الناس بالحسن البصري، رضي الله عنه[3]. وكانت محبتهم قد استقرت في قلوب الدمشقيين، والشاميين، فحين مات إبراهيم بن محمد بن مفلح، حمل الناس جنازته على رؤوس الأصابع[4].

فروابط العلم بين فلسطين والشام وثيقة العرى، وعميقة الجذور؛ فكانت الشام حاضنة للعلماء الفلسطينيين، كما كان العلماء الفلسطينيون شامة الشام عِلماً، وسلوكاً. وكلا البلدين من عرائس بلاد الشام، التي استلهمت بركتها من بركة المسجد الأقصى المبارك.

1. السفاريني، محمد بن أحمد : غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب. مصر: مؤسسة قرطبة. 1 /233.
2. المنجد، صلاح الدين: معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة. بيروت: دار الكتاب الجديد. 1398هـ/1978م. ص223. بدوي، عمار توفيق أحمد: زهر البساتين في تراجم علماء رامين. ص95.
3. بدوي: العلماء الكرميون عبر ثمانية قرون، ص201.
4. بدوي: العلماء الكرميون عبر ثمانية قرون، ص171.

دوحة الشعر

أذان القدس

زهدي حنتولي / موظف إداري / مكتب الوكيل المساعد / دار الإفتاء الفلسطينية

أذان القدس أوحى للبيانِ ... شعوراً لا يرافق ترجمانِ

فكيف يكون عذر للكلام ... وهذا القلب مضطرباً يراني

دعيتُ لكي أنازل لجَّ بحرٍ ... ونبضُ القلبِ دفّاقاً دعاني

يطارحني بجزْرٍ بعد مدٍّ ... وَيهدُرُ في السّواحلِ والموانِي

نظرتُ إلى المدى فسمعتُ حرفي ... وقد نسجَ القصيدةَ في ثوانِي

وكيف وقد تمادى الظلّم قهراً ... وإبعادي بعيداً عن كياني

يريد من الزّمان بما يراهُ ... ولكنْ ليس يعرفهُ زماني

رسمتُ على القوافي شمسَ روحي ... معلّقةً ومُطْلقةَ العنانِ

إذا كُتِبتْ جراحُ القدسِ شعراً ... ترى دفقاً يفيض من المعاني

أقرّوا صمتهُ ليلاً قراراً ... فردَّ الصّمتَ صوتٌ للأذانِ

إذا منعوا نداء الفجرِ قسراً ... تؤذنُ كلُّ أروقةِ المكانِ

وفيها كلّ مئذنةٍ تنادي ... وفي محرابها السّبعُ المثاني

فما وهنتْ على مُرٍّ مريرٍ ... وما رضختْ لذلٍّ أو هوانِ

يرابط في الدّيار حماةُ دارٍ ... لها كلحاءِ غصنٍ في الحنانِ

يذودون الغبارَ بما استطاعوا ... عن الأقصى وعن طيف الأماني

عليها قد تكالبت الأعادي ... وما فتئتْ حجارتها تعاني

وظلّتْ واحةً تسري إليها ... قلوبٌ كي تفوح من الجنانِ

تصلّي قاب محرابٍ وسورٍ ... وتعبق من أريج البيلسانِ

فرغم الحزن في عينيكِ يبدو ... أراكِ بكلِّ أوصاف الحسانِ

موشّحةً بنورٍ سرمديٍّ ... يكلّل كلَّ باحات المباني

وصوتُ الحقّ يعلو كلّ صوتٍ ... ويهزمُ ما أقاموا من رِهانِ

دوحة الشعر

عَلى أعتابِ رمضانْ

مهند ذويب

نَحو التناهي مولِدٌ مِن خاصِرة ... ومخـاضُ أحـلامٍ تـنـاءَت بائِـرة

والمـوتُ رفـرفَ فـوقَ نخلٍ باسِقٍ ... هُـزي إليـكِ بجذعِـها يا طاهِرة

واسقي الوليدَ كـؤوسَ عـزٍ مرةٍ ... ودمـاً يَـنِـزُّ بـصرخةٍ في الـذاكِـرة

والكُحلُ بالسيفِ المُضرجِ إنَّهُ ... عـزمُ الـرجـالِ بأمَّـهـاتٍ ثائِـرة

للقُدسِ أسلـمَ سيفُكم أشعاره ... فـهيَ الهـوى وهـيَ الجميلةُ آسِرة

سَلَبت بروعتها بـريـقَ عيونِهِ ... فالعينُ رغـماً عـن جُـفوني زائِـرة

أملـي كَـنـهـرِ وجـــودِنا مُـتـدفِّقٌ ... لِلقائِها تَحتَ السيوفِ القاطِرة

للهِ أشكـو مَـا ألاقـي مِـن نـوىً ... كُـلُّ الـــدروبِ إلى رُباهـا عـاثِرة

كَـبُر الـزمـانُ مُضمَّخاً بِدمائِه ... فـبنـادقٌ صَـدِئـتْ تبـاكَت خائِرة

يا ذُلَّ شعبٍ حينَ أُرضِـعَ ثورةً ... أجيـالُهُ ركعتْ وعـاشَت صاغِرة

قَد كـانَ يُطرِبها صَليلُ سيوفِها ... والـيـومَ تـطـرِبُها أغـانٍ سـافِرة

مـاتَ الربيـعُ فشيّعوا أحلامَكم ... هـذي الجُيـوشُ تقهقَرت مُتَناثِرة

والـلـيـلُ فـوقَ جفونـنا مَتَسلّطٌ ... سـتـونَ حـزناً في شُمـوسٍ غـائِـرة

الـقُـدسُ في رَمـضـانَ تـصـرُخُ ثـورةً ... والحُـــزنُ بحـرٌ في قُـلـوبٍ غـابِـرة

شـهـرُ الصيـامِ أهـلَّ طيـفُ جلالِـهِ ... وتصيحُ في كُـلِّ النفوسِ الحائِرة

حَـتى مَـتى يا أمـتي حَـتى مَـتى؟ ... والمَسـجِـدُ الأقصى بِأيـدٍ فـاجِرة

ولِد الرِّجالُ فجهزي كَفَنَ الرَّدى ... حُـزنٌ تَجـدَّلَ مِـنْ دِمـاءٍ عـاطِرة

مِـن بـينِ صـبر الصـائِـمينَ سَتَبزُغُ ... فـالصومُ صـبرٌ نحـوَ قُـدسٍ ظـافِرة

رَمَـضـانُ عـبَّـأنا مَخـاضـاً طـاهِـراً ... إشـراقُـهـا مِـن رَمـلِـنـا لـلـنـاصِـرة

هـذي الـدروب بصبرِنا قَد عبّدت ... سَـتعودُ كـلُّ رباكِ خُـضـراً زاهِـرة

باقة من نشاطات
مكتب المفتي العام
ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير عام مكتب المفتي العام

المفتي العام يشارك في المؤتمر السابع والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة

القاهرة: شارك سماحة الشيخ محمد أحمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى- في أعمال المؤتمر السابع والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والذي عقد في القاهرة تحت عنوان: (دور القادة وصانعي القرار في نشر ثقافة السلام ومواجهة الإرهاب والتحديات) وذلك خلال الفترة من 11 - 12 آذار 2017، بدعوة من فضيلة الشيخ الدكتور محمد مختار جمعة- وزير الأوقاف المصري.

وقدم سماحته للمؤتمر ورقة عمل بعنوان (تحديات الإرهاب، وسبل المواجهة) تناول فيها ظاهرة الإرهاب وأسبابه وطرق مواجهته، وبين فيها أن الإسلام دين هداية ورحمة، يتسم بالوسطية، رافضاً اتهامه بالإرهاب والتطرف. وأشار سماحته إلى أهمية عقد هذا المؤتمر في هذا الوقت، الذي تزايدت فيه أعمال التطرف المنسوبة إلى الإسلام، وهو منها براء، مع ضرورة العمل على معالجة هذه الظاهرة الدخيلة، والتعامل مع الرأي المخالف بحكمة ووعي. والتقى سماحته على هامش المؤتمر عدداً من الشخصيات الرسمية والشعبية المشاركة في أعماله، وأطلعهم على الانتهاكات والاعتداءات التي تمارسها سلطات الاحتلال ضد الشعب

الفلسطيني ومقدساته، وحث الأمتين العربية والإسلامية على القيام بواجبهما تجاه القضية الفلسطينية، وحماية المقدسات، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك.

المفتي العام يعزي بضحايا تفجير الكنيستين في مصر

رام الله: قام سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك– على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية بزيارة تعزية للسفارة المصرية في رام الله، وكان في استقبال سماحته والوفد المرافق المستشار أحمد حافظ، القائم بأعمال سفير جمهورية مصر العربية وطاقم السفارة، حيث قدم سماحته والوفد المرافق التعازي بضحايا الحادثين الإجراميين اللذين استهدفا كنيسة مار جرجس في طنطا، وأخرى في محافظة الإسكندرية، في جمهورية مصر العربية، وقال سماحته: إن هذين الاعتداءين الإجراميين يتنافيان مع الدين والقيم الأخلاقية النبيلة، وما هما إلا ضرب من الفساد في الأرض، ويهدفان إلى بث روح النزاع والفرقة بين أبناء الشعب الواحد، وإلى زعزعة الأمن والاستقرار، ويحققان غايات مشبوهة لأطراف تتربص بالأمة وأمنها وقيمها، وشدد سماحته على أن الفتنة دخيلة على الشعب المصري، واصفاً الفئة التي اقترفت هذا العمل الإجرامي بالضالة والخارجة عن تعاليم إسلامنا الحنيف، واصفاً هذين الهجومين بالأعمال الإرهابية التي تنتهك حرمة دور العبادة، التي حرم الإسلام المساس بها، موضحاً أن النفس الإنسانية مصونة ومكرمة، وأن ديننا الإسلامي هو دين تسامح وسلام، وعدل ومحبة، وأعرب سماحته عن ثقته بأن أبناء الشعب المصري وحكومتهم سيتجاوزون هذه الأزمة بحكمة وحلم، لتفويت الفرصة على من يستهدفهم بالشر والفوضى والفتن الطائفية جراء مثل هذا الحادث الإجرامي.

بدوره شكر السيد حافظ سماحته والوفد المرافق على هذه اللفتة الكريمة، مشيداً بالعلاقات الأخوية التي تربط بين الشعبين المصري والفلسطيني، مؤكداً على أن الحادث الإجرامي

لن يزعزع من وحدة المصريين، ولن يهز نسيجهم الاجتماعي، ولن يؤثر في استقرار وطنهم، وإن مصر قادرة بقيادتها الحكيمة وشعبها الموحد على الوصول إلى بر الأمان بعيداً عن الإرهاب والتطرف.

وضم الوفد الذي رافق سماحته الشيخ إبراهيم عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة – وأ. محمد جاد الله/ مدير عام الشؤون الإدارية والمالية وأ. مصطفى أعرج/ مدير عام مكتب المفتي العام.

المفتي العام يشارك في استقبال وفد كويتي

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين –المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك – في استقبال وفد كويتي زائر للمسجد الأقصى المبارك، ضم كلاً من: الشيخ مشعل جراح الصباح، والسيد فيصل المطيري، حيث رحب سماحته بالوفد، مؤكداً على أهمية هذه الزيارة التي تساهم في دعم صمود الشعب الفلسطيني وثباته على أرضه، وأشاد سماحته بما تقدمه دولة الكويت أميراً وحكومة وشعباً لدعم الشعب الفلسطيني ومقدساته، داعياً إلى تكرار مثل هذه الزيارات التي تصب في دعم صمود المواطن الفلسطيني على أرضه ومقدساته أمام عنجهية الاحتلال وغطرسته، وحضر اللقاء عدد من المسؤولين الرسميين والشعبيين الفلسطينيين.

المفتي العام يلتقي رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية- خطيب المسجد الأقصى المبارك- في مكتبه سعادة السيد كريستيان دو ليكتبور- رئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر في فلسطين، وذلك بحضور محمد جاد الله- مدير عام الشؤون الإدارية والمالية، ومصطفى أعرج- مدير عام مكتب المفتي العام، حيث تحدث سماحته عن المعاناة التي يعانيها الأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال، سواء المرضى منهم، أم الأطفال، أم المعزولين في الزنازين الانفرادية، مؤكداً على ضرورة احترام حقوقهم الإنسانية التي تتوافق مع القوانين الدولية، وقد أشاد سماحته بدور لجنة الصليب الأحمر وجهودها الحثيثة في تقديم خدماتها للأسرى وأهاليهم، من جانب آخر حذر سماحته من تجاهل إضراب الأسرى عن الطعام الذي انطلق في يوم الأسير الفلسطيني 17 نيسان 2017م، والذي قد يؤدي إلى عواقب مؤلمة إذا لم تتم الاستجابة لمطالبهم العادلة، مطالباً العالم أجمع بالضغط على سلطات الاحتلال لتحقيق هذه المطالب، ومؤكداً على ضرورة إطلاق سراح الأسرى جميعاً من سجون الاحتلال.

كما تناول الطرفان سبل التعاون بين دار الإفتاء والصليب الأحمر، لتحقيق الأهـــداف الإنسانية النبيلة، من جانبه شكر السيد دو ليكتبور سماحته على

تقديره لدور اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجهودها، داعياً إلى استمرار التعاون بين الجانبين.

المفتي العام يشارك في ورشة عمل حول التحريض الإسرائيلي ضد المناهج الفلسطينية

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية خطيب المسجد الأقصى المبارك- في ورشة عمل حول التحريض الإسرائيلي ضد المناهج الدراسية الفلسطينية، والتي عقدتها وزارة التربية والتعليم العالي، وحضرها عدد من الشخصيات الرسمية والشعبية، حيث أشار سماحته إلى استهداف سلطات الاحتلال لدور العبادة والمؤسسات التربوية، مشيراً إلى أن المنهاج الفلسطيني بني على قيم التسامح والمحبة، معبراً عن رفضه المطلق لاتهام المناهج الفلسطينية بالتحريض.

خلال مؤتمر صحفي

المفتي العام: المسجد الأقصى المبارك مسجد إسلامي خالص للمسلمين

رام الله: شارك سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك- في المؤتمر الصحفي الذي أقامه مركز الإعلام الحكومي في رام الله، حيث أكد سماحته على أن المسجد الأقصى المبارك مسجد إسلامي خالص للمسلمين وحدهم.

نافياً ما تدعيه سلطات الاحتلال بأنه مكان مقدس لليهود، ومضيفاً أن المسجد الأقصى يتعرض لاعتداءات يومية من قبل المستوطنين، بحماية من سلطات الاحتلال الإسرائيلي، مما يشكل اعتداءً على قدسية المكان وحرمته وحق المسلمين في المسجد الأقصى، كما تطرق سماحته إلى تصويت ما يسمى بالكنيست الإسرائيلي على مشروع قانون لمنع رفع الأذان في القدس، مبيناً أن الأذان شعيرة من شعائر الإسلام، وهو مرتبط بعقيدة المسلمين وعبادتهم، رافضاً أي محاولات لسن قانون يمس هذه الشعيرة وهذه العبادة، وشارك في المؤتمر الأستاذ أحمد الرويضي سفير منظمة التعاون الإسلامي وممثلها لدى دولة فلسطين.

مجلس الإفتاء الأعلى يحذر من تهويد التعليم، ويدعو إلى مساندة أسرى الحرية في إضرابهم

القدس: حذر مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين من استهداف التعليم الفلسطيني في القدس، وذلك عبر قيام سلطات الاحتلال الإسرائيلي بفرض

المنهاج الإسرائيلي على الطلاب الفلسطينيين، وكذلك فرض عطلة الربيع، وفقاً للتاريخ الإسرائيلي، محذراً من انعكاس هذا القرار على سير امتحانات الثانوية العامة الفلسطينية في مدارس القدس، وأكد المجلس أنه لا يحق لسلطات الاحتلال التدخل في سير العملية التعليمية الفلسطينية بالقدس، كما دعا المجلس أبناء الشعب الفلسطيني إلى دعم الأسرى الفلسطينيين ومناصرتهم في إضرابهم لينالوا حقوقهم العادلة، داعياً أبناء الشعب الفلسطيني إلى المشاركة في فعاليات التضامن مع الأسرى المضربين عن الطعام في سجون الاحتلال، موجهاً التحية والاحترام إلى الأسرى والمعتقلين الرازحين في زنازين الاحتلال، مطالباً الدول جميعها والهيئات والمنظمات ضرورة التدخل للجم سلطات الاحتلال عن عدوانها وغطرستها ضد أبناء الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة.

المفتي العام يستقبل رئيس ممثلية جنوب إفريقيا لدى دولة فلسطين

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية -خطيب المسجد الأقصى المبارك- سعادة السفير (أشرف سليمان) رئيس بعثة جنوب إفريقيا لدى دولة فلسطين، حيث أطلعه سماحته على الأوضاع الصعبة التي يعاني منها شعبنا الفلسطيني نتيجة لإجراءات الاحتلال العنصرية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك والمقدسات الفلسطينية، كما أطلعه على قضية الأسرى البواسل

وإضرابهم المفتوح عن الطعام، للمطالبة بحقوقهم المشروعة، وتحسين أوضاعهم الإنسانية، وأثنى سماحته على مواقف جنوب إفريقيا الداعمة للحقوق الفلسطينية، وما تقدمه من مساندة مستمرة للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، وخاصة موقفها في المحافل الدولية تأييداً لشعبنا، مؤكداً على عمق العلاقات التاريخية بين الجانبين.

وبدوره أشاد السفير سليمان بسماحته، متطلعاً لمزيد من التعاون المشترك وتعزيز العلاقات الثنائية.

وحضر اللقاء الشيخ إبراهيم عوض الله/ الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، ومفتي محافظة رام الله والبيرة، والأستاذ محمد جاد الله/ مدير عام الشؤون الإدارية والمالية في دار الإفتاء الفلسطينية.

المفتي العام يكرم مساعد مفتي محافظة رام الله والبيرة

رام الله: تحت رعاية سماحة الشيخ محمد أحمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية، خطيب المسجد الأقصى المبارك، أقيم في مقر الإدارة العامة لدار الإفتاء الفلسطينية، حفل تكريم لفضيلة الشيخ عبد الرحيم ناصر العيسة/ مساعد مفتي محافظة رام الله والبيرة، بمناسبة إحالته إلى التقاعد.

وقد افتتح الحفل بآيات قرآنية تلاها الباحث الشرعي حذيفة غنيمات.

وفي كلمة لسماحته أثنى على الدور البارز الذي قدمه فضيلة الشيخ العيسة خلال مسيرة عمله في دار الإفتاء، التي ناهزت الـعشرين عاماً، مثنياً على عمله وأدائه المميز.

بدوره قال فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله، الوكيل المساعد لدار الإفتاء – مفتي محافظة رام الله والبيرة، إن فضيلة الشيخ عبد الرحيم كان شعلة مضيئة في سماء دار الإفتاء الفلسطينية، من خلال عطائه المتواصل وجهده الذي لم ينضب، مثنياً على أمانته وإخلاصه، وتفانيه في العمل.

وشكر الشيخ العيسة سماحة المفتي العام وفضيلة مفتي محافظة رام الله والبيرة على هذه اللفتة الكريمة، متمنياً لدار الإفتاء دوام التقدم والرقي والازدهار.

وألقى الشاعر زهدي الحنتولي قصيدة شعرية بالمناسبة، التي قام بعرافة حفلها الأستاذ محمد جاد الله، مدير عام الشؤون الإدارية والمالية في دار الإفتاء الفلسطينية.

وفي نهاية الحفل قدم سماحته لفضيلة الشيخ العيسة درع دار الإفتاء الفلسطينية، وقدم له مفتي محافظة رام الله والبيرة درعاً باسم الزملاء في دار الإفتاء / محافظة رام الله والبيرة.

دار الإفتاء تؤدي واجب العزاء بالشهيد نخلة

الـقـدس: نيابة عن سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والـديـار الفلسطينية خطيب المسجد الأقصى المبارك– وأسرة دار الإفتاء الفلسطينية، أدى فضيلة

الشيخ إبراهيم عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة – واجب العزاء بالشهيد جاسم محمد نخلة في مخيم الجلزون، وذلك بمشاركة أ.محمد جاد الله– المدير العام للشؤون الإدارية والمالية، وأ. بلال الغول– مدير الدائرة المالية، وأحمد كميل، وزهدي الحنتولي.

سائلين الله العلي القدير أن يحشر الشهيد وذويه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في نشاطات عديدة

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة –مفتي محافظة بيت لحم– في حفل افتتاح فرع جديد للبنك الإسلامي العربي في بيت لحم، حيث ألقى فضيلته كلمة وضح فيها مزايا نظام الاقتصاد الإسلامي، مؤكداً على أن الإسلام يحرص على تنمية المال بالطرق الحلال، وليس مجرد مساعدة المحتاج، وكان فضيلته قد شارك في فعاليات أخرى، منها: زيارة الأسير المحرر الطفل الجريح أسامة زيدات، وكذلك المشاركة في فعاليات يوم الأرض، كما استقبل فضيلته وفود أجنبية عدة، أطلعهم على عدالة الإسلام وسماحته، كما ألقى العديد من الدروس الدينية على نزلاء سجن

في بيت لحم، تناول فيها موضوعات عدة تهم السجناء في حياتهم الدينية والدنيوية، كما شارك في ندوة بعنوان: (الحياة الروحية في الأديان في الدنيا والآخرة)

وشارك في احتفال تكريم السيدات المميزات الذي أقامته محافظة بيت لحم، وحضر فضيلته معرضاً لمركبات الدفاع المدني ومعداته ووسائل السلامة، والذي أقيم احتفالاً باليوم العالمي للحماية المدنية، كما شارك في ندوة فكرية حول (المفكر العربي الكبير عبد الوهاب المسيري) في جامعة بيت لحم، وشارك في افتتاح المعرض العلمي التراثي وأسرى الحرية، الذي أقامته مديرية التربية والتعليم، وشارك في حفل تخريج الطلبة المشاركين في دورة علم النفس الأمني، الذي عقد في كلية فلسطين الأهلية الجامعية، وكذلك في افتتاح قاعة الشهداء في مخيم الدهيشة.

مفتي محافظة سلفيت يستقبل وفداً من قيادة الأمن الوطني والشرطة في المحافظة

سلفيت: استقبل فضيلة الشيخ جميل جمعة –مفتي محافظة سلفيت– في مقر دار الإفتاء الفلسطينية في محافظة سلفيت وفدين من قيادة الأمن الوطني والشرطة في المحافظة، حيث أطلعهم فضيلته على عمل الدار وإنجازاتها، كما بحث آلية التعاون المشترك، وتوثيق العلاقات لما فيه خدمة الوطن والمواطن، كما شارك فضيلته في فعاليات زراعة أرض الوقف في أراضي دير استيا بأشتال الزيتون، وأدى واجب العزاء بشهيد الأمن الوطني المرحوم حسن علي أبو الحاج، وألقى كلمة بين فيها أحكام الشهيد، وفضل الشهادة عند الله عز وجل، مقدماً التعازي لأولياء الشهيد وقيادة الأمن الوطني ومنتسبيها.

مفتي محافظة غزة يستقبل وفداً من تجمع الشخصيات المستقلة

غزة: استقبل فضيلة الشيخ حسن اللحام – مفتي محافظة غزة / عضو مجلس الإفتاء الأعلى، وفداً من تجمع الشخصيات المستقلة، ضم السيد محمد أبو حصيرة– نائب الأمين العام للتجمع– وكلاً من المستشار نادر المصري، والأستاذ محمد بدر، و السيد نايف أبو زيد، والسيد فايز أبو غلوة، أعضاء التجمع.

ورحب الشيخ اللحام بالوفد الكريم، وأشاد بجهود تجمع الشخصيات المستقلة في إنهاء الانقسام، كما أكد فضيلته على أهمية الوحدة الوطنية، وجمع الشمل، ورص الصفوف في وجه الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية، التي طالت كل شبر من الأراضي الفلسطينية.

بدوره أكد أعضاء الوفد الضيف على دور العلماء في جمع شمل الشعب الفلسطيني، وإنهاء الانقسام، وإعادة اللحمة بين شطري الوطن، وضرورة نشر ثقافة الوحدة والأخوة والتسامح بين أبناء شعبنا الفلسطيني.

وفي نهاية اللقاء قدم الوفد الزائر الشكر للشيخ اللحام على حسن الاستقبال.

مفتي محافظة طولكرم يلقي العديد من المحاضرات الدينية

طولكرم: ألقى فضيلة الشيخ عمار بدوي –مفتي محافظة طولكرم– العديد من المحاضرات الدينية، تناول فيها موضوعات عدة، منها: (أحكام الجنائز) وكذلك (أحكام النذر في الشريعة الإسلامية) وما يتعلق به من صور، وموضوع (العقيدة الإسلامية وما يختص بعلم الغيب) وكذلك علم (تفسير آيات الأحكام) كما شارك في ندوة عن الزواج المبكر تحدث فيها عن مفهوم الزواج وغاياته وأهدافه، علماً بأن فضيلته يشارك في العديد من البرامج الإعلامية والتلفزيونية التي يجيب فيها عن أسئلة المواطنين في مختلف جوانب الحياة، عبر وسائل الإعلام المختلفة.

مفتي محافظة جنين يشارك في ندوات عدة

جنين: شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب -مفتي محافظة جنين- في العديد من الندوات التي عقدت في محافظة جنين، منها الندوة التي عقدت في قاعة مدرسة جلقموس الثانوية، حول (الزواج والزواج المبكر) مبيناً أنه لا مانع من أن يحدد سن الـزواج، من باب السياسة الشرعية،

كما شارك في ندوة عقدت في مدرسة بنات كفر قود الثانوية، حول (مكانة المرأة في الإسلام) مبيناً أن المرأة لها حقوق، كما أن عليها واجبات، وأن الإسلام كرّم المرأة، وحث على حسن معاملتها، وشارك فضيلته كذلك في ندوة عقدت في مدرسة بنات جنين الثانوية، بعنوان (مقاصد الشريعة) تحدث فيها عن معنى المقاصد الشرعية، وارتباطها بعلل الأحكام الشرعية، وتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، كما شارك في ندوة عن (مخاطر الإنترنت) مبيناً أن الإنترنت له فوائد وسلبيات، مؤكداً على وجود ضوابط وشروط للاستفادة من هذه الوسائل بالطريقة الصحيحة، وشارك كذلك في ندوة عقدت في روضة زهرة المدائن، بعنوان (العنف الموجه ضد الأطفال) بين فيها موقف الإسلام من العنف، وخاصة الأطفال، موضحاً أن الإسلام دين رحمة، يدعو إلى الرحمة بالأطفال، ويوجب على والديهم الاهتمام بهم ورعايتهم، كما شارك في ندوة حول (أهمية الخطاب الديني، وأثره، ودور الإمام والخطيب في تصحيح مفاهيم الناس،

وإرشادهم لما فيه مصلحة المجتمع والمواطن) بين فيها أن الإمام الناجح والخطيب عليهما أن يهتما بالعلم، ويزدادا منه، ويتحليا بالصبر والحكمة، وأن يكونا قدوة حسنة، ويخاطبا الناس على قدر عقولهم، وفي سياق آخر شارك فضيلته في حفل تكريم كوكبة من حفظة كتاب الله العزيز، وتخريج دورة تعزيز قدرات الأئمة وخطباء مساجد محافظة جنين.

مفتي محافظة نابلس يشارك في العديد من المؤتمرات والندوات

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش –مفتي محافظة نابلس– في العديد من المؤتمرات والندوات، منها مؤتمر (المطورين العقاري) ومؤتمر (التعلم والتعليم في العالم الرقمي) في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، من جانب آخر شارك فضيلته في حفل تكريم ثلة من المعلمين والمعلمات المتقاعدين، كما شارك في حفل تكريم أوائل الطلبة في مدرسة جماعين الثانوية، وألقى فضيلته محاضرة حول (مكانة المرأة في الإسلام)، وذلك في مقر مديرية العمل النسائي، وكان فضيلته قد شارك في العديد من البرامج الإعلامية، وأجاب عن أسئلة المواطنين، وشارك في حل العديد من الخلافات والنزاعات في المحافظة، بالإضافة إلى إلقائه خطب الجمعة في مساجد المحافظة.

مسابقة العدد 134

السؤال الأول: أجب بنعم أو لا فيما يأتي.....؟

1. الأترجة ريحها طيب وطعمها مرّ
2. يلزم المسافر أن يفطر إن سافر في نهار رمضان
3. يفسد الصيام بالقيء المتعمد
4. الذي يأكل بعد أذان الفجر دون علمه بدخول الوقت، صومه صحيح
5. يطلق لفظ الزكاة في اللغة على النماء والطهر والصلاح
6. لفظ (الريح) مفردة غالباً ما يكون فيها العذاب حسب الوارد في القرآن
7. يقال: صديقك من صدَّقك، لا من صَدَقك
8. تعتبر قصة يوسف، عليه السلام، من القصص القرآنية القصيرة
9. يقع جبل (قاسيون) في دمشق
10. تقع قرية (رامين) في محافظة الخليل

السؤال الثاني: من.....؟

أ. صاحب سؤال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟

ب. الذي تلقى عزاء سماحة الشيخ محمد حسين بضحايا تفجير كنيسة (مارجرجس)

ت. الذي قصدته الخنساء بقولها:

لا هو ميت فينعى ولا حي فيرتجى

ث. القائل:

1. فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان لله مصرعي
2. أنا ما هاجرت حتى أنافس الناس على دنياهم

السؤال الثالث: ما.....؟

1. معنى المزمار
2. اسم باب الجنة الذي يدخل منه الصائمون دون سواهم
3. منزلة الصوم من الصبر
4. مقدار نصاب الزروع والثمار

السؤال الرابع: كيف .....؟

1. كانت قراءة النبي، صلى الله عليه وسلم
2. عَلّم الله قابيل كيفية دفن جثة أخيه هابيل
3. تحاول سلطات الاحتلال مؤخراً تهويد التعليم في القدس
4. السبيل النضالي الذي سلكه الأسرى مؤخراً للمطالبة بحقوقهم المشروعة

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل

موزعة على ستة فائزين بالتساوي

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح.
- ترسل الإجابات إلى العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 134
مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام
دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 132

السؤال الأول:

1. سورة الإخلاص
2. قوله صلى الله عليه وسلم: (كفارة النذر كفارة اليمين)
3. أ. الذي يصرع الناس كثيراً بقوته.

ب. الصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة التي تشق ثيابها عند المصيبة.

ج. البكاء على الميت مع رفع الصوت.

د. الإيجاب: اللفظ الصادر من الولي أو وكيله.

والقبول اللفظ الصادر من الزوج، أو وكيله، المتضمن الموافقة على الإيجاب.

السؤال الثاني:

1. داود وعيسى ابن مريم، عليهم السلام.
2. قارون
3. أبو إسرائيل
4. محمد ومحمود البلبول
5. أ. الرسول، صلى الله عليه وسلم.

ب. 1. أبو فراس الحمداني

2. أبو نواس

السؤال الثالث:

أ. بعد نزول قوله تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً}

ب. 23 /8 /1929م

ت. 13 /10 /2016م

ث. 1945م

الفائزون في مسابقة العدد 132

الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
1. يوسف صالح خضر	طولكرم	250
2. أحمد حسن أحمد جلايطة	أريحا	250
3. نجوى عبد الغني محمد أبو ارميلة	الخليل	250
4. صفاء محمد دراغمة	رام الله	250
5. ميرنا عصام عزام	غزة	250
6. ربيحة موسى هماش	بيت لحم	250

ضوابط ينبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو بحوث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع الكترونية

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org